

للإمام حجة الإسلام

أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

(450 هـ/1058 م - 505 هـ/1111 م)

الجزء الأول

قدم له وحقق نصه وضبطه
وترجمه إلى اللغة الإنكليزية
الأستاذ الدكتور
أحمد زكي حماد

الطبعة الأولى

ISBN: 0-9787849-7-9

نشر مشترك للطبعة الأولى



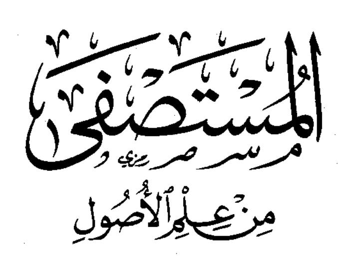
العالمية للنشر والترجمة والتدريب (سدرة المنتهى)

٤٤ شارع ١٩ - المقطم- القاهرة- جمهورية مصر العربية
رقم الهاتف: ٢٥٠٥٠٥٩٤ (٠٠٢٠٢)
رقم الفاكس: ٢٥٠٧٩٦٨٢ (٠٠٢٠٢)
البريد الإلكتروني: azh@azhammad.com
الموقع على الإنترنت: www.azhammad.com



دار الميمان للنشر والتوزيع

شارع العليا العام - الرياض - المملكة العربية السعودية
رقم الهاتف: ٤٦٢٧٣٣٦ - ٤٦٤٥٥٩٤ - ٤٦٤٥٥٨١ (٠٠٩٦٦١)
رقم الفاكس: ٤٦١٢١٦٣ (٠٠٩٦٦١)
البريد الإلكتروني: info@arabia-it.com
الموقع على الإنترنت: www.arabia-it.com / www.arabia-it.net



AL-MUSTAṢFÂ
MIN ʿILM AL-UṢÛL

أعمال صدرت للدكتور / أحمد زكي حمّاد

The Gracious Quran
A Modern-Phrased Interpretation in English

The Luminous Quran Elucidated in Context

(Deluxe Edition)

◆ *Volume One* ◆

The Complete English Text of the Translation; Annotated Names of Surahs; and Substantive Indexes

◆ *Volume Two* ◆

The Arabic Text of the Quran; Comprehensive Introduction to the Gracious Quran (Arabic & English) and General Notes and Background Essays

....

Arabic-English Parallel Edition

One Volume Work with the Complete English Text of the Translation Alongside the Arabic Quran; Annotated Names of Surahs; Presenting the Gracious Quran (English); and Substantive Indexes

....

Other Works

◆ *The Opening to the Quran* ◆

Commentary & Vocabulary Reference of al-Fâtiḥa

◆ *Lasting Prayers* ◆

of the Quran & the Prophet Muḥammad ﷺ

◆ *One God: The Everlasting Refuge* ◆

Commentary & Vocabulary Reference of Sûrat al-Ikhlâṣ

◆ *Father of the Flame* ◆

Commentary & Vocabulary Reference of Sûrat al-Masad

◆ *The Fairest of Stories* ◆

The Life Story of Joseph Son of Jacob in the Quran: An Interlinear Commentary on Sûrat Yûsuf

◆ *Mary: The Chosen Woman* ◆

The Mother of Jesus in the Quran: An Interlinear Commentary on Sûrat Maryam

◆ *Understanding Juristic Differences* ◆

A Primer on the Science of al-Khilâf al-Fiqhî *In Light of the Sharî'ah Sources*

◆ الله الأحـــد ◆

صِفَاتُهُ وَكَمَالاتُهُ مِنْ كَلِمَاتِهِ: دِرَاسَةٌ مَوضُوعِيَّةٌ لِسُورَةِ الإخْلاصِ

◆ أبُولَهَبْ وَامْرَأتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ ◆

دِرَاسَةٌ مَوضُوعِيَّةٌ لِسُورَةِ المَسَدْ

◆ تحقيق: المُسْتَصْفَى مِنْ عِلْمِ الأُصُولِ ◆

لِلإمَامِ حُجَة الإسْلاَمِ أبِي حَامِدٍ مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغَزَالِي

....

Forthcoming in English

◆ *The Quintessence* ◆

of the Science of the Principles of Islamic Law

A Translation of *Al-Mustaṣfâ min 'Ilm al-Uṣûl,* by Abû Ḥâmid Al-Ghazâlî

◆ *The Great Tiding* ◆

Life Everlasting: A Glimpse Into the Hereafter

The Question and the Quran: An Interlinear Commentary on Sûrat Al-Naba'

إهـــداء

المروءة ومكارم الأخلاق من كنوز الأرزاق

وقد آتى الله منهما الصديقين العزيزين

ياسين و مشهور

نصيبًا وافرًا

أدعو الله لنا ولهما بعافية الدين والدنيا

وَصَدَقَ القَائِلُ:

يَذْهَبُ الفقرُ والثَّراءُ وَيَبْقَى

مَابَنَى الخَيِّرُونَ مِنْ أَعْمَالِ


بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

تُواجه الحضارة الإسلامية- في عصرنا- قَصْفًا عاتيًا وقذائفَ متواليةً من المفاهيم القاصرةِ أو المغلوطَةِ، والدعاوى الخيالية التي لا سند لها في العقل أو العلم أو التاريخ. مُنطلقها: الجهل أو البغي أو الكيد!، وغايتها المعلنة: الهدمُ البَنَّاء!. ولهذه الحملات جذورٌ في القرون الوسطى، أجَّجتها الحروب الصليبية، وغذَّاها المد الاستعماري الغربي للعالم الإسلامي في العصر الحديث. وتولى كِبْرَ جهود التشويش هذه طائفةٌ من رجال اللاهوت، والمستشرقون، ومن ورائهم دهاقين السياسة، وأنتجوا تراثًا ضخمًا عن الإسلام، وكتابه، ونبيه، وشعوبه، تختلط فيه الحقيقة بالخيال، والأغاليط والافتراءات بالمعلومات المنقوصة، نجد ذلك فيما عُرِفَ في الغرب بـ: «الدراسات الشرقية»، في اللغات اللاتينية، والإنكليزية، والألمانية، والفرنسية، والإسبانية، والإيطالية، والروسية...إلخ.

وقد بادر أولئك النَّفَر بنقل معاني القرآن الكريم إلى لغات أوروبا خدمةً لأغراضهم، وأشاعوا أنّ كتاب الله تعالى ليس إلا صياغةً عربيةً مُلَفَّقةً من قصص أهل الكتاب، وأساطير الأولين. وقدموا صورة لمحمد ﷺ على أنه نبي بلا نبوءة صادقة، أو رَبِيبُ كاهنٍ- مَرَقَ من الكنسية- ليؤسس مُلكًا يُشْبِعُ رَغَبَاتِهِ، ويُبْعِد النَاسَ عن طريق الله[1].

- وادّعوْا أن لُبَـابَ الفكر الإسلامي، وقِوَامَ الثقافة الإسلامية ليس إلا نقلاً أو ترديدًا لمقولات فلاسفة اليونان، ومن ثَمَّ فالمسلمون في عالم الفكر، والروح، والأخلاق عَالةٌ، ومقلدون، ومدينون لعبقرية اليونان، أو قدماء الهند، إلى آخر هذا الهذيان. وركَّزوا على أن التشريع الإسلامي في أصوله وفروعه ليس إلا استِدَانَةً من الأعراف الجاهلية للعرب قبل الإسلام، وليس إلا اسْتِمْدَادًا من التُّرَاثِ التَّشْرِيعِي الرُّومانِيِّ والتَّوراتِيِّ، بل ذهب بعض المستشرقين إلى القول بأنّ

الوجود الإسلامي، وامتِدَادَهُ وحَضَارَتَهُ إنما هو خطأ تاريخي محض»[2].

والغرض القريب من ترديد هذه الدعاوى في أوساط الدراسات الإسلامية والإنسانية، وغيرها من وسائل الإعلام هو التشكيك في جَدَارَةِ الإسلام وقدرته على توجيه الحياة، وقدرة تعاليمه على إخراج المسلمين من مهاوي التخلف والجمود التي أصابتهم.

أما الغرض الأبعد فهو هدم أساس الخصوصية الثقافية للمسلمين وهويتهم، والترويج لضرورة محاكاة الحضارة الغربية، واستنساخ تجربتها، وتبنّي قِيَمِهَا في السياسة والأخلاق، والتشريع، والاجتماع وسائر نظم الحياة. ومن أبرز معالم التجربة الأوروبية- التي أفرزها عصر النهضة- الانفصالُ عن الدين، وعن موروثات القرون الوسطى، والاتصال بأفكار التنوير اليوناني، وبعُنْفُوَانِ الفتوحات الرومانية، والاقتباس- في حدودٍ- من الإشراقات الروحية لـ: «اليهومسيحية».

وقد ظلّت هذه الدعوات هامسةً، أو بالأصح معزولةً عن الوعي العام، قبل ثورة الاتصالات وعصر المعلومات. لكنها أصبحت الآن جاهرة سافرة، يصيح بها ويحامي عنها نفرٌ من المستعربين والمستغربين شرقًا وغربًا. ولاتزال هذه الدعوات تُلحُّ على ضرورة استحداث منهج جديدٍ لتناول قضايا الإسلام وأصوله، ويعنُون: منهجًا يَقُومُ على أنقاض التُّراث، ويفتح آفاقاً جديدة لقراءة النصوص وتفسيرها، واستنطاقها لتوليد مفاهيم معاصرة، ولو كان ذلك مناقضًا لمنطوق النصوص ومفهومها. ويستمر الإلحاح على وجوب استعمال الآليّات المعاصرة للعلوم الغربية في مجالات: الألسُنيات وعلوم الإنسان، والآثار، وعلم النفس، والاجتماع والتاريخ والتشريع، وبحوث مقارنة الأديان وغير ذلك من الآليات التي تَفْـتَرِضُ إزاحةَ القداسة عن كلِّ النصوص، وحَجْرها في سياقها التاريخي البحت. وهذا وحده- في زعمهم- كفيلٌ بأن يُحَرِّرَ البحث عند تناول وفهم النصوص الإسلامية من هَرْطَقَات المتكلمين، ومجادلات اللاهوتيين، وتلاعب فقهاء الحيل، وأدعياء العلم باسم سلطان الشرع!

وقد استأثر **التشريع الإسلامي: أصوله وفروعه**- عندهم- بنصيب وافر من النقد والاهتمام في آن واحد. ومردُّ ذلك في الأغلب إلى أنه الفن الذي يؤسِّسُ

لمنهج التعامل مع الفقه التشريعي، فيحدد نصوصه ومصدره وأدلّته، ويبحث في كل ما يتصل بأحكامه، وفي كل طرق الاستدلال الاستنباطي، والاستقرائي، والقواعد، والمقاصد التي تضبط كل ذلك، ويبحث فوق ذلك في أهلية من يتصدى لتفسير النصوص، وإصدار الأحكام من العلماء والقضاة، والمفتين ومن جرى مجراهم من أهل الاختصاص.

فماذا يفعل الباحث المسلم؟ هل يكفيه الكشف عن هذه المفتريات، والجهر بصيحات التحذير، ورفع أصوات النكير؟

في تقديري أن الجمود على هذا الموقف السلبي يسيء إلى الإسلام وحضارته المشرقة، والأَوْلَى أن نُبادر بإعادة تقديم أسس الحضارة الإسلامية في اللغات الحية، الغربية والشرقية. وهذا الموقف المبدئي هو الذي حركنا قبل عشرين عامًا أن نتوجه بالجهود إلى التركيز على إنتاج «باقة حضارية» باللغة الإنكليزية انتفاعًا بالحكمة العربية:

لَا تَقُلْ عَنْ عَمَلٍ ذَا نَاقِصُ ... جِئْ بِأَوْفَى ثُمَّ قُلْ ذَا أَكْمَلُ

وقد بدأنا بتقديم ترجمة تفسيرية لمعاني القرآن الكريم، وقلنا في التقديم لها: إنَّ مشروعنا لـ: «**التواصل الحضاري**» يهدف إلى تقديم النصوص والقضايا الأساسية في ثقافة الحضارة الإسلامية، وعرض رؤيتها باللغة الإنكليزية لمسائل الوجود الكبرى، وهي: «الخالق»، و«الخلق»، و«الإنسان»، ويبدأ بـ:

* «**القرآن الكريم**»: الذي هو في مكان الصدارة من هذه الباقة الحضارية؛ لنصّه الإلهي وتفسيره العلمي، ومفرداته، ومسائله التي تتناول الإنسان ورحلته على الأرض- وما بعدها- من البدء إلى الختام.
* ويلي القرآن «**الأسوة النبوية**»: التي تمثلت في حياة النبي محمد ﷺ مُبَلِّغِ الرسالة الإلهية الخاتمة التي تجلت في أقواله وأفعاله وإقراراته ﷺ.
* ثم تأتي «**منظومة الأخلاق**»؛ لأن رسالة الإسلام في صميمها أخلاقية، وشعائرها ونظمها ترمي إلى تحقيق مقاصد أخلاقية.
* ثم «**الربانية الإسلامية**»؛ لأن الإنسان كائن عابد بفطرته- يعيش في كون عابد بطبيعته- ولأن العبادة الصحيحة روح الحياة، فلابد من إحياء معنى «الربانية» في مداها الشامل والعميق، كي لا تصير الشعائر الدينية طقوسا جافة مملة ومتحجرة، وكي لا تتحول المعاملات- باسم التدين- إلى مصدر شقاء للإنسان ووسيلة لاستغلاله وتسخير طاقاته للأهواء والشهوات.

* ثم «**أصول التشريع وفقْهِهِ**»: وتكتمل الباقة الحضارية «بالتشريع» في أصوله ومبادئه وفروعه، وهو بداهة يستهدي بالقرآن، ويتأسى بسنة الرسول ﷺ، ويلتزم المقاصد الأخلاقية والربانية للشريعة.

تلك عُمُدُ مشروعنا الحضاري الذي نأمل أن ينتشر في لغات العالم، ليتعرف الناس على رسالة الإسلام من نصوصها وأصولها، وليس من الأبواق العالية التي تتحدث باسمها، وهي أبعد ما تكون عن روحها وجوهرها.

وها نحن نشرع في استكمال أحد جوانب الهدف الأخير إلى النور، أعني تيسير مادّة «أصول التشريع»، واخترنا أن نعجل بنشر واحد من أهم المؤلفات الأصولية، وهو كتاب «المستصفى من علم الأصول» لحجة الإسلام والمسلمين، أبي حامد الغزالي، ثم نتبعه بتقديم أحد دواوين الفقه الإسلامي.

ورأينا أن نعيد تقديم النص العربي للمستصفى في نشرة جديدة مدققة محققة، يكون اعتمادنا على نصها في ترجمة الكتاب إلى اللغة الإنكليزية، وتنبني على الأصول المخطوطة، وتنتفع بجهود العلماء؛ الذين نشروا الكتاب وأتاحوا مادّته للقارئ العربي. وقد آثرنا إتمامًا للفائدة أن يخرج نَصُّ المستصفى، مضبوطًا ضبطًا كاملاً- أو قريبًا من الكمال- وألحقنا به الفهارس الفنية اللازمة؛ لتيسير الانتفاع به. ولا يفوتني في هذا المقام إحياءً للأدب النبوي الرفيع: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**»، أن أشكر كل الباحثين، والمعاونين الذين ساعدوني في إعداد هذه النشرة، جزى الله الجميع خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

القاهرة – مدينة المقطم
العاشر من محرم عام 1430هـ
الموافق السابع من يناير عام 2009م

أ.د. أحمد زكي حمّاد
□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

1 See: Saracens: Islam in the Medieval European Imagination. John V. Tolan - Columbia University Press. New York. 2002. P.139 - 140. Matthew senneott, First Crusaders' Images of Muslims The Influence of Vernacular Poetry?, Forum for Modern Language Studies, 22 (1986); Penny Cole, o God, the Heathen have come into your inheritance" (ps 78.1). The Theme of Religious Pollution in Crusade Documents, 10951188-', in Crusaders and Muslims in Twelfth-Century Syria, ed. M. Shaemiller (E.J. Brill' 1993); Norman Daniel, Islam and the West. The Making of an Image (Edinburgh University Press, 1960); Senjamin Z. Kedar, Crusade and Mission. European Approaches toward the Muslims (Princeton University Press, 1984); James Kritzeck, Peter the Venerahle and Islam (Princeton University Press, 1964); Richard Southern, Western Views of Islam in the Middle Ages (Harvard University Press, 1962).

2 انظر لزامًا المقدمة الماتِعَة التي صدر بها الدكتور وائل الحلاق في كتابه: «نشأة الفقه الإسلامي وتطوره» صـ: 9-15

حُجّةُ الإِسْلَام
أَبُو حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغَزَالِيّ

(450 هـ/1058 م - 505 هـ/1111 م)

تَجَدَّدَ الاهتمام العالمي الواسع بتراث حجة الإسلام الغزالي فى القرن التاسع عشر، وانشغل الباحثون شرقًا وغربًا بدراسة أطوار حياته، وأعماله، وتأثيره في مجالات عدّة[1] منها: أصول الدين، وأصول التشريع وفروعه، والفلسفة، والمنطق، والأخلاق، والسياسة، والتصوف، والتعليم، والردّ على الفرق.. إلخ.

ولا يزال حجة الإسلام موضع الاهتمام البالغ لفريق كبير من العلماء والكتاب. وطبيعي أن يكون منهم مادحون، وناقدون. وقد بلغت بحوثهم من الكثرة والشمول حدًّا أنضج «الدراسات الغزالية»، وأصبح من العسير على الباحث الجاد أن يضيف جديدًا ذا بال خفى على غيره، أو يكشفَ عن مجهول غاب عن المأخوذين بعبقرية هذا الإمام المجدد. ولهذا فنحن مع الْمَعْنِيِّينَ بالتركيز على إعادة تقديم تراث الغزالي، والدراسات التى تناولته في ثوب جديد، وإتاحتها في اللغات الحية على نحو مُحَقّق، مُوَثّقٍ قريبِ التّنَاول.

وهنا تبرز أهمية نشرتنا لكتاب «**المستصفى من علم الأصول**» التي يخرج فيها النص العربي مشكولاً، ومدققًا، والنص الإنكليزي للترجمة منقحًا، ومحرّرًا[2].

ومن أغراضنا أن يتاح لقارىء الإنكليزية- مثل قرّاء العربية- التعرف على أصول فقه الشريعة عند الغزالي، خصوصًا وأن الدراسات الغزالية في اللغة الإنكليزية ركّزت- أو اقتصرت- على الجانب الفلسفي، والصوفي، والأخلاقي، والسياسي. وهذه الجوانب وحدها- ومع أهميتها البالغة- لا تنتج صورة متكاملة متوازنة عن شخصية الغزالي، وفكره، ومكانته العلمية والتاريخية.

فلابد من كشف الغطاء عن العطاء الغزير للغزاليّ في المجال التشريعي بقسميه: الأصولي، والفقهي[3].

وقد رأينا ألاّ تخلو هذه النشرة من لمحةٍ موجزة عن حياة الإمام الغزالي، لينتفع بها من لا يتيسر لهم الاطلاع على المطولات التي عالجت حياته وآثاره.

اسمه وميلاده:

ولد حجّة الإسلام وزين الدين، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي سنة 450هـ/1058م، في قرية صغيرة اسمها غزالة، تقع في شطر مدينة طوس الكبرى المعروف بـ: «الطَّابَرَان»[4]، وكانت طوس آنذاك تلي في أهميتها مدينة نيسابور، وتقع شمالها، في إقليم خراسان، من بلاد فارس. وقد بُنِيَتْ مدينة «مشهد» المعاصرة في إيران مكان مدينة طوس بعد أن دمَّرها المغول سنة (617هـ/ 1220م)، أي بعد نحو قرن من وفاة الغزالي رحمه الله[5].

لقبه:

يُعرَف الغزالي أحياناً بـ «الطُّوسي» نِسبةً إلى المدينة، لكنه اشتهر عبر الأجيال، شرقًا وغربًا، بـ «الغَزَّالي» بتشديد الزاي أو تخفيفها، أو «حجة الإسلام أبو حامد الغزالي» على خلافٍ في النسبة هل هي إلى «قرية غزالة»؟ أم إلى «صناعة أبيه»، وهي الغزل[6].

نشأته:

نشأ أبو حامد الغزالي وأخوه أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي (ت: 520هـ/ 1126م) في أسرة رقيقة الحال، عاش أبوهما فقيرًا يَغْزِل الصوف ويبيعه في دكَّانِه بطوس، وكان مُـحِبًّا للعلم، لكنَّه لم يَنَل منه حظًا وافرًا، وكان يُعْرِبُ عن أمنيته في أن يجعل الله ولديه مثل العلماء، والفقهاء، والوعَّاظ ممن شَهِدَ دروسهم في طوس. وأوصى- وهو على فراش الموت- أحد أصدقائه الصوفية بولديه الصغيرين: محمد، وأحمد، وقال له: «إن لي لتأسُّفًا عظيمًا على فوات تَعَلُّم الخطِّ، وأشتهي استدراك ما فاتني في وَلَدَيَّ هذين، فَعَلِّمْهُما، ولا عليك أن تُنفِقَ في ذلك جميع ما أُخَلِّفُهُ لهما»[7]. ولم يكن ما خلَّفه لهما كثيرًا، فلما نفدَ المال، وتعذَّر على الوصيّ الصُّوفي الفقير القيام بِقُوتِهِمَا قال لهما: «اعلما أني قد أنفقتُ عليكما ما كان لكما، وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي، فأواسيكما

به، وأصلحُ ما أرى لكما أن تلجآ إلى مدرسة كأنَّكُمَا من طلبة العلم فيحصل لكما قوتٌ يُعينكما على وقتكما». وكان الغزالي يحكي ذلك ويقول: «طلبنا العلم لغير الله |أي للقوت| فأبى أن يكونَ إلاّ لله»[8].

مِنْ شيوخِه:

تَلَقى الغزالي مبادئ الفقه الشافعي في بَلَدِهِ طوس على **الشيخ أحمد بن محمد الرَّاذكَاني** (407هـ- 477هـ/ 1016م- 1084م)[9]. وأخذ التصوف عن **الشيخ الفضل بن محمد بن علي الفَارَمَذِي** (407هـ- 477هـ/ 1016م- 1084م)[10].

ثم رحل الغزالي إلى **جُرجان** ليأخذ الفقه الشافعي عن أحد أعلامه آنذاك وهو **الشيخ أبو القاسم إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي**، وعاد إلى بلده طوس بعد أن كتب ما تعلمه في «التعليقة»، وهي مُدَوَّنَةٌ لما تلقَّاه عن شيخه.

وفي طريق عودته إلى طوس، قطع اللصوص عليه الطريق، وأخذوا جميع ما معه! يقول الغزالي: «فتبعتهم، فالتفتَ إليّ مقدَّمهم، وقال: ارجع، وَيْحَك، وإلا هلكْت..

فقلت له: أسألُك بالذي ترجو السلامةَ منه، أن ترُدَّ عليَّ تعليقتي فقط، فما هي بشيءٍ تنتفعون به.

فقال لي: وما هي تعليقتك؟

فقلت: كتُبٌ في تلك المِخْلاة، هاجرتُ لسماعها، وكتابتها، ومعرفة عِلْمها.

فضحك، وقال: كيف تدَّعي أنك عرفتَ علمها، وقد أخذناها منك فتجرَّدتَ من معرفتها، وبَقِيت بلا علم!

ثم أمر بعضَ أصحابه، فسلَّم إليَّ المِخْلاة.

قال الغَزالي: فقلت: هذا مُستنْطَقٌ، أنطقه الله ليرشدني به في أمري، فلما وافيتُ طُوس، أقبلت على الاشتغال ثلاثَ سنين، حتى حفظتُ جميعَ ما علَّقْته، وصْرتُ بحيث لو قُطِع عليَّ الطريق لم أتجرَّد من علمي»[11].

الغزالي في المدرسة النظامية بنيسابور:

وبعد أن استظهر ما تعلمه، وراضَ نفسه مع الصوفية، رحل إلى **نَيسابور** أهم مراكز العلم في خراسان آنذاك، حيث توجد المدرسة النظامية التي بناها الوزير نِظَامُ المُلْكِ الحسن بن علي الطوسي(ت: 484هـ/ 1091م)، وزير **الأمير السلجوقي ألب أَرْسِلاَن**، (ت: 465هـ/ 1072م) وكان على رأسها عالم الوقت، **إمام الحرمين أبو المعالي الجوينى عبدالملك بن عبدالله بن يوسف** (419هـ-478هـ/ 1028م- 1085م)، الفقيه الأصولي المتكلم الأشعري.

وكان مع الغزالي فى **المدرسة النظامية بنيسابور** رفيقان نَجيبانِ هما: أبو الحسن علي بن محمد الطبري إلْكِيَا الهرَّاسي (ت: 504هـ/ 1110م)[12]، وأبو المظفر الـخَـوَافي (ت: 500هـ/ 1106م)[13]، وكلاهما تولى التدريس في نظامية بغداد سنة (493هـ/ 1099م)[14].

بقي الغزالي في نيسابور في المدرسة النظامية يدرُسُ العلوم الإسلامية والعقلية- ويُعِينُ شيخه- إمام الحرمين الجويني. واستمر على ذلك إلى أن توفي أستاذه الجويني في الخامس والعشرين من ربيع الثاني من عام (478هـ/ 1085م)[15].

قال معاصر الغزالى وتلميذه **عبد الغافر الفارسي**: «وَجَدَّ |الغزالى| واجتهد حتى تخرج في مدة قريبة، وَبَزَّ الأقران، وحمل القرآن، وصار أنظر أهل زمانه، وأوحد أقرانه، أيام إمام الحرمين، وكان الطلبة يستفيدون منه» [16].

الغزالي في معسكر نظام الملك:

ترك الغزالي نظامية نيسابور وعمرهُ ثمان وعشرون سنة، وتوجه إلى معسكر الوزير نظام الملك (408-485هـ/ 1017م- 1092م)، وكان الوزير قد اتخذ من مكان فسيح قرب نيسابور مقرًّا لمعسكره، وجعله محل إقامته مع جنده، وهيأ فيه مجلسًا يلتقي فيه العلماء، والنُّظَّار، ولما شارك فيه الغزالي نَاظَرَ رُؤُوسَ العِلْمِ في مجالس نظام الملك فظهر عليهم، وبان نبوغه، وأدهش الناس بسعة علمه، ومَوفور ذكائه. وأعجب به الوزير نظام الملك وأوفده عام 484هـ/1091م للتدريس في **المدرسة النظامية في بغداد**، ولم يلبث الوزير أن اغتيل سنة 485هـ/1092م أي بعد عام من إيفاده للغزالي على يد واحد من شباب الباطنية الحشَّاشين.

انتقاله إلى بغداد:

وفي بغداد بلغ الغزالي أَوْجَ مجدِه العلمي، وكان يحضر درسه أكثر من ثلاثمائة شيخ من أكابر أهل العلم[17]. واشتغل بتدريس العلوم الشرعية، والتصنيف فيها.

ومن الجدير بالذكر أن الغزالى أقبل في أوقات فراغه من التدريس فى النظامية على تحصيل الفلسفة[18]، فطالع كتب الفلاسفة خصوصا ما كتبه **الفارابي: أبو نصر محمد بن طرخان** (257–339 هـ/ 870–950 م) **وابن سينا: الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله** (370–428 هـ/ 980–1037 م). وألف في الرد عليهم كتابيه الشهيرين: **مقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة**.

واستمر فى بغداد نحو أربع سنوات اتصل فيها بأصحاب النفوذ، وولاة الأمر. وألف في الرد علي الباطنية[19] وفي نقض مذهبهم. وأصبح بذلك مستهدفًا من سفَّاحيهم.

ولانرى أن الغزالى في الفترة التى عاشها فى معسكر نظام الملك، والتي تزيد على خمس سنين، قد اقتصر على المناظرات فى مجالس نظام الملك. بل على الأرجح أنه لم ينقطع عن التأليف الفقهى، والأصولى، والكتابة فى عِلْمَي الخلافِ والجدل. وإن كنا لانستطيع القطع بأسماء المؤلفات التى اشتغل الغزالى بها قبل أن ينتقل إلى التدريس في نظامية بغداد.

وعليه فإنه يمكننا أن نعتبر السنوات العشر التى قضاها الغزالى بين صُحْبَةِ نظام الملك، والتدريس فى نظامية بغداد أخصب فترات التصنيف فى مجالات: الفقه، وأصوله، والمنطق والفلسفة، والرد على الفرق. والاستثناء الأكبر من ذلك هو كتاباه: **إحياء علوم الدين، والمستصفى من علم الأصول**. ويمكننا أن نقبل قائمة المصنفات التى نسبها إلى هذه الفترة عدد من المهتمين بالتطور الفكرى، وتاريخ وتوثيق مؤلفات الغزالى (على الأخص بويج[20]، ووات[21]، وحوراني، والعثمان[22]، وبدوي[23]، والأعسم)، وبناءً على ذلك نطمئن إلى أن الغزالى أنهى فى هذه السنين العشر (من: 478هـ إلى: 488هـ) مؤلفاته الفقهية: **البسيط**، واختصاراته: **الوسيط، والوجيز والخلاصة فى الفقه**، مع تحريره لعدد من

الفتاوى التى كانت تأتيه. ويغلب على الظن أن الغزالى أنجز تأليف **تهذيب الأصول**- موسوعته الأصولية التي لم يبق من آثارها إلا إشارات في المصادر التى ترجمت له، أو في أثناء مصنفات الغزالي؛ كإحالته عليه في خمسة مواضع من المستصفى (صـ 5، 261، 278، 598، 619)- وبسط فيه القضايا التى انتهى إليها التأليف الأصولى قبله. لكن طولَ الكتاب وميلَه إلى استقصاء المسائل وتفصيل النقاش حول القضايا الأصولية؛ دفعا الغزالى إلى تأليف المستصفى وتحقيق المسائل فيه، وعرضها فى نظام بديع غير مسبوق.

الغزالى و أزمته الفكرية والروحية:

وفي شهر رجب من 488هـ/1095م وقع الغزالي صريعاً لأزمة فكرية، وروحية حادّة استمرت نحو ستة أشهر. وأثَّرت على قواه البدنية، وقدرته على القيام بالتدريس، أو التأليف، فترك التدريس في المدرسة النظامية في شهر ذي القعدة من نفس العام[24]. وقد تعددت التساؤلات حول دواعي هذه الأزمة وأسبابها:

* فهل كانت معاناته نتيجةً لتلاطم الأفكار والمذاهب التي خاض غمارها، فشوشت فكره، ودفعته إلى الشك، خصوصًا وأنه كان طُلَعَةً يتوق لمعرفة كل شيء[25]؟!

* أم كان ما جرى نتيجةً لتأثير الصراعات العقائدية والمذهبية، والسياسية، وما شاع في عصره من التنافس على حطام الدنيا؛ وقد علم الغزالى بتَعَارُضِ كل ذلك مع البواعث الدينية، والأخلاق والقيم الإسلامية والمقاصد الشرعية.[26]؟!

* أم كان خوفًا على حياته بعد أن قويت شوكة الدعوة الباطنية الإسماعيليّة بقيادة الحسن بن الصباح (ت: 518هـ/1124م)، ونجحت في إشاعة الفزع بين رجالات الدولة العباسية وأعوانهم؛ فَقُتِلَ نظام الملك، وغيره من الأعيان، والوزراء. فهل تفاقم خوف الغزالي على نفسه من غدرهم[27]، فأصابه ذلك بالعجز التام عن القيام بمهامِه؟!

* أم أن كل ما حدث كان عَرَضًا[28] لاعتلالٍ بدنيٍّ واضطرابٍ عضوي أصاب جسده وروحه؟![29]

* أم أن اجتماع هذه العوامل أو بعضها تسبب في معاناة الغزالي؟!

لا يسعنا في هذا السياق أن نقطع بشأن تفصيل السبب أو الأسباب التي أثّرت فى سلوك الغزالى فى هذه المرحلة. ما يهمنا هو التنبيه إلى أمرين:

أولهما: أَنَّ بداية خروجه من معاناتِهِ صَاحَبَهَا خُروجُه من بغداد، قال- رحمه الله-: «... فأعضل هذا الدّاء، ودام قريبًا من شهرين، أنا فيها على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال؛ حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال؛ ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقًا بها على أمن ويقين. ولم يكن ذلك بِنَظْمِ دَلِيلٍ، وَتَرْتِيبِ كَلاَمٍ؛ بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر؛ وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف...»*. وقال رحمه الله: «فلم أزل أتردد بين تجاذب الدنيا ودواعي الآخرة، قريبًا من ستَّةِ أشهر؛ أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمائة... ثم لما أحسست بعجزي، وسقط بالكلية اختياري... أظهرت عزم الخروج إلى مكة وأنا أريد في نفسي سفر الشام... ففارقت بغداد...»*.

* المنقذ من الضلال صـ67-68

* المنقذ من الضلال صـ 104

والأمر الثاني: أنه سلك طريق الصوفية، وسكن إليه، وأفرط في الثناء عليهم. وتَحْسُنُ الإشارة- في هذا المقام- إلى أن الغزالي إنما لجأ إلى التصوف والرياضات الروحية لعله يتخلص أو يخفِّف من معاناته، وأزمته التي عطلته عن التدريس. وفي تقديرنا أنه لم يقصد أن ينسلخ من علومه ليؤسس طريقة صوفية أو يصير من شيوخ التصوف. وقد لاحظ شيخ عصرنا الأستاذ الدكتور القرضاوي في كتابه عن «الغزالي» أن حجة الإسلام لم ينظر إلى علوم الصوفية وتراثهم بعين النقد التي نظر بها إلى علوم الفلاسفة والمتكلمين والباطنية بل بعين الرضا والحب؛ والحب يعمي ويصم. قال الغزالي: «علمت يقينًا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصَّة»، ثم قال: «بل لو جُمِع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئًا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً. فإن جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من (نور) مشكاة النبوة؛ وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به»*.

* المنقذ من الضلال صـ 106

مغادرته بغداد:

غادر الغزالي بغداد في ذي الحجة سنة 488هـ/1095م، واستناب أخاه الشيخ أحمد لينهض بمهام التدريس في النظامية. وقضى نحو عشر سنين من الرياضة الروحية والتفكير العميق، أقام خلالها في القدس، ودمشق، وزار مدينة الخليل، وشدَّ الرِّحالَ إلى الحرمين الشريفين في مكة والمدينة لأداء الحج والعمرة ثم رجع خلالها إلى **طوس**؛ ومرّ أثناء عودته ببغداد، ونزل رباط **أبي سعيد النيسابوري الصوفي** المواجه للمدرسة النظامية في بغداد، ولم يُدَرِّسْ فيها. وبعد أن استقر في طوس ألح عليه **الوزير فخر الملك ابن نظام الملك**، والي نيسابور أن يُدَرِّس في المدرسة النظامية عام 498هـ/1104م، وهي المدرسة التي تخرج فيها على **إمام الحرمين الجويني**، فقبل ذلك. وقد وصف الغزالى حاله فى نظامية نيسابور بعبارات موحيةٍ تكشف عن الباعث الذي دفعه للتدريس قال: «وأنا أعلم أنى وإن رجعت إلى نشر العلم فما رجعت |أى إلى حالى القديم| فإن الرجوع عود إلى ماكان! وكنت فى ذلك الزمان أنشُر العلم الذى يكتسب به الجاه، وأدعو إليه بفعلى وقولى وكان ذلك قصدى ونيتى. وأما الآن فأنا أدعو إلى العلم الذى يُترك به الجاه، ويُعرف به سقوط رتبة الجاه. هذا هو الآن نيتى وقصدى وأمنيتى، يعلم الله ذلك منى»[30] واستمر فى نظامية نيسابور إلى ما بعد وفاة فخر الملك[31].

قال معاصره الإمام عبد الغافر الفارسي: «ثم ترك ذلك- أي التدريس في نظامية نيسابور- قبل أن يُتْرَك، وعاد إلى بيته، واتخذ في جواره مدرسة لطلبة العلم وخانقاه للصوفية، وقد وزّع أوقاته على وظائف: من ختم القرآن،ومجالسة أرباب القلوب، والتدريس لطلبة العلم، وإدامة الصلاة، والصيام، وسائر العبادات»[32]، بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته، ولحظات من معه عن فائدة.

بعض تلاميذه وأصحابه:

رُزِقَ الغزالى شهرة واسعة فى حياته،[33] وانتشرت مصنفاته فى العالم الإسلامي، وأقبل عليه طلاب العلم من كل مكان: من الأندلس، وشمال إفريقيا، وبلاد الشام والعراق، وفارس والولايات الواقعة على أطرافها فى أواسط

آسيا الإسلامية. ونسوق هنا عددا منهم. ومعتمدنا فى ذلك غالباً على طبقات الشافعية الكبرى للسبكى، وإتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين للمرتضى الزبيدى:

- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن نبهان الغنوي، تفقه على الغزالي والشاشي، وكتب الكثير من مؤلفات الغزالي، (ت: 543هـ/ 1148م).
- أبو الحسن جمال الإسلام علي بن المسلم بن محمد السلمي، أصولي، فقيه فرضي عالم بالتفسير وهو أحد مشايخ الشام الأعلام، لزم الغزالي مدة مقامه بدمشق، وقد أثنى عليه الغزالي، (ت: 533هـ/ 1138م).
- أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري المغربي الأندلسي محدث تفقه ببغداد على الغزالي، (ت: 541هـ/1146م).
- أبو الحسن علي بن المطهر المكي الدينوري، (ت: 533هـ/ 1138م).
- أبو الحسن علي بن مسلم بن محمد السلمي، (ت: 533هـ/ 1138م).
- أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد بن برهان، فقيه أصولي كان حنبلي المذهب، ثم انتقل إلى المذهب الشافعي، وتفقه على الشاشي والغزالي (ت: 518هـ/ 1124م).
- أبو بكر بن العربي، محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله المعافري الأندلسي الإشبيلي المالكي، التقى بالإمام الغزالي في رباط أبي سعيد الواقع أمام المدرسة النظامية فلازمه وأخذ عنه (ت: 543هـ/ 1148م).
- أبو حامد محمد بن عبد الملك الجوزقاني الإسفراييني، تفقه على الغزالي ببغداد.
- أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد النوقاني، الملقب بالسديد، توفي مقتولا سنة 544 هـ/1149م.
- أبو سعيد محمد بن يحيى بن منصور النيسابوري، قال ابن السبكي: هو تلميذ الغزالي، تفقه عليه وبه عرف، وقتل سنة 548هـ/1153م.[34]
- أبو طالب عبد الكريم بن علي بن أبي طالب الرازي، تفقه على الغزالي وإلكيَا، وكان يحفظ كتاب (الإحياء) للغزالي (ت 522هـ/1128م).[35]
- أبو طاهر إبراهيم بن المطهر الشباك الجرجاني، حضر دروس إمام الحرمين بنيسابور، ثم صحب الغزالي وسافر معه إلى العراق والحجاز، ثم عاد إلى وطنه بجرجان، وأخذ في التدريس والوعظ، وقتل سنة 513هـ/1119م.[36]
- أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس الجهني الكعبي من أهل الموصل، ولد سنة 466هـ/1073م، وتفقه على الغزالي وغيره، (ت: 552هـ/ 1157م).
- أبو عبد الله شافع بن عبد الرشيد بن عبد القاسم الجيلي، تفقه على إلكيَا والغزالي (ت: 541 هـ/1146م).
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، الملقب بالمهدي. تفقه على الغزالي وإلكيَا (485–524هـ / 1092–1130م).

- أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله العراقي البغدادي، تفقه على الغزالي وإلكيَا والشاشي.
- أبو عبد الله مروان بن علي بن سلامة الطَّنْزى، من طنْزَه بديار بكر، ورد بغداد وتفقه على الغزالي والشاشي، (ت: 540هـ/1145م).
- أبو عمر دغش بن علي النعيمي الموفقي، (ت: 542هـ/1147م).
- أبو منصور سعيد بن محمد بن عمر بن الرزاز، من كبار أئمة بغداد فقهاً وأصولا وخلافا، وتفقه على الغزالي والشاشي وغيرهما، وولي تدريس نظامية بغداد مدة، (ت 539هـ/1144م).
- أبو منصور محمد بن أسعد بن محمد العطاري الطوسي، فقيه أصولي تفقه بطوس على الغزالي، وتوفي في تبريز سنة 573هـ/1177م.
- أبو منصور محمد بن إسماعيل بن الحسين بن القاسم العطاري الطوسي، تفقه على الغزالي بطوس (ت: 533 هـ/1138م).
- أبو نصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الخمقري القاضي البهوني، من بهونة إحدى قرى مرو، تفقه على الغزالي بطوس (ت: 544 هـ/1149م).
- أبوسعيد محمد بن علي الجاواني الكردي، حدث عن الغزالي بكتاب إلجام العوام.
- الرضي بن مهدي بن محمد الزيدي، ذكر صاحب طبقات الزيدية أنه ارتحل وتتلمذ على الغزالي وروى عنه كل مصنفاته.
- علي بن محمد بن حمويه الصوفي تفقه على الغزالي بطوس.

أسلوب الغزالي وشاعريَّته:

يرى من عايش مؤلفات الغزالي كيف تلتقي في كلماته روعة البيان وجماله، مع صيحة الحق في حجاج منطقي أخَّاذٍ. وأسلوب الغزالي متميز رَقْرَاق، وعباراته محكمة، وسياقه متماسكٌ متكاملٌ؛ سهل ممتنع، مليء بالحيوية والإشعاع والعذوبة من غير تكلف أو تصنُّع. وأفكاره واضحة جلية تعكس تمكنه من المادة التى يكتب فيها، ونظام تأليفه بديع خصوصا فى مؤلفاته الفلسفية، وفى الإحياء، والمستصفى من علم الأصول. وقد تبنى الغزالي في المستصفى أسلوب الحوار على شكل «فإن قيل» «قلنا». وأحيانًا لا يكتفي بنقض الرأي وتفنيد الفكرة بل يستعمل ألفاظًا قاسية، وتعبيرات حادّة لا تخلو من غلظة في وصف المخالف من الآراء، أو الأشخاص. وتكررت هذه العبارات في ثنايا النصّ[36].

ورمى خصومه بتهافت الحجة، واطّراح أصول الجدال والمنطق، والتعويل على ما وصفه بـ«التحكم» أو «التحكم المحض»، أو «التحكم الفاسد»، أو «التحكم والوهم»، أو «التحكم والاختراع» أو «التحكم المجرد»*. وتارة يصفهم بـ«التعسف،

والتناقض، والتكلف»*. وأحيانًا يصف آراءهم: «بالخبط الذي لا أصل له»*. ويصمهم بالجهل أي: «الحكم بغير علم»، أو بالخروج على المعقول، و«الهذيان»*. أو بـ«الوهم الباطل»*. ويقارن بين بعض الآراء الباطلة ويصفها بأنها أقلّ من «هذيان المريسيّ»*. ويصف ردودهُ عليهم بأنها مفحمة، ويستعمل في ذلك لفظة نادرة «مُغَلْصِم»*. أي مُفْحِمْ. وكثيرًا ما يستهل ردوده بقوله: «كشف الغطاء» عن هذه المسألة كذا*.

وكان رحمه الله يتذوق الشعر، ويعرف سلطانه على النّفوس ويوظفهُ في بلوغ مُرامه؛ ويقتبس من الشعراء ما يعينه على جلاء فكرته، يتجلى ذلك في الشواهد الشعرية الكثيرة في ثنايا إحياء علوم الدين، واستعمل الغزالي شواهد شعرية في مواضع قليلة من المستصفى منها: في سياق بيان أسباب الغلط بشأن إطلاق اسم الحسن والقبح على الأفعال فبين أن الوهم يُسَوِّل للإنسان أن ما اقترن بما هو حسن يكون حسنًا وما اقترن بما هو قبيح يكون قبيحًا، واستشهد لتوضيح هذا المفهوم بقول مجنون ليلى «قيس بن الملوح»:

أَمُرُّ عَلَى الدِّيَـــارِ دِيَـــارِ لَيْلَى　　أُقَبِّلُ ذَا الْجِــدَارَ وَذَا الْجِدَارَا
وَمَا حُبُّ الدِّيَـــارِ شَغَفْنَ قَلْبِي　　وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

وقول ابن الرومي «علي بن العباس بن جُريج»:

وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرِّجَـالِ إِلَيْهِم　　مَآرِبُ قَضَّاهَا الشَّـبَابُ هُنَالِكَا
إِذَا ذَكَــرُوا أَوْطَانَـهُمْ ذَكَّرَتْهُمُ　　عُهُودَ الصِّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَلِكَا

على كل حال لنا أن نتساءل: هل كان الغزالي يقرض الشعر؟ والجواب أنه وإن لم يكن شاعراً بالمعنى الاصطلاحيّ لكن تنسب إليه أبيات شعرية يغلب عليها الطابع الصوفي والفلسفي ومن ذلك:

قُـلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ　　أَقْصِرِ القَوْلَ فَذَا شَرْحٌ يَطُــول
ثَمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِــنْ دُونِــهِ　　ضُرِبَتْ واللهِ أَعْنَاقُ الفُحُــول
أَنْتَ لاَ تَعْــرِفُ إِيَّـــاكَ ولاَ　　تَدْرِ مَنْ أَنْتَ وَلاَ كَيْفَ الوُصُول
لا، ولا تَدْرِ صِفَـــاتٍ رُكِّبَتْ　　فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا العُقُول[37]

ومنه:

سِقَمِي في الحُـــــبِّ عَافِيَتِي   وَوجُـودِي في الهَـوَى عَدَمِي
وعَـــــذابٌ يرتَضُـــــونَ بِهِ   في فَمِي أحْـلَى من النِّعَـم
مَا لِضُـــــرٍّ في مَحَبَّتِــــكُم   عِنـــــدَنَا واللهِ من أَلَـــــم

ومنه:

قد كنتُ عبداً والهَوَى مَالِكِي   فَصِرتُ حُرًّا والهَـوَى خَادِمِي
وَصِـرْتُ بالوَحْــدَةِ مُسْتَأنِساً   من شَـرِّ أصْـنَافِ بَنِـي آدَم
مَا في اخْتِلاطِ النَّاسِ خَيْرٌ وَلا   ذُو الجّهْلِ بِالأشْيَـاءِ كَالعَـالِمِ
يَا لائِمي في تَرْكِكُمْ جَاهِـــلا   عُذْرِي مَنْقُوشٌ عَـلَى الخَـاتِمِ

ومنه:

فُقَهَاؤُنَا كَذُبَـــالةِ النِّبْـــراسِ   هي في الحَرِيقِ وَضَوْءُها لِلنَّاسِ
خُبْرٌ دَمِيمٌ تَحْـتَ رَائِقِ مَنْظَرٍ   كَالْفِضَّةِ البَيْضَـاءِ فَوْقَ نُحَـاسِ

وفاته:

قال عبد الغافر الفارسي «... وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ[38]، ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين...»[39]، ثم توفي- رحمه الله تعالى- يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة 505 هـ، الموافق 18 ديسمبر سنة 1111م، «ودفن بظاهر قصبة طابَرَان... ولم يعقب إلاَّ البنات»[40]، ومثواه قريب من قبر الشاعر الفارسي «الفردوسيّ».

قال أخوه أبو الفتوح الشيخ أحمد الغزالي: «لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد، وصلى وقال: «عليّ بأكفاني»، فأخذها وقَبَّلهَا، وتركها على عينيه، وقال: «سمعًا وطاعة للدخول على الملك»، ثم مَدَّ رِجْلَيْهِ، واستقبل القبلة، ومات قبل الإسفار[41]»، ومات عن خمس وخمسين سنة هجرية- رحمه الله.

وقد رثاه جماعة مِنْهم: الأديب الأبيوَرْدي؛ قال:

بَكَى عَلَى حُجَّةِ الإِسْلاَمِ حِينَ ثَوَى مِنْ كُلِّ حيٍّ عَظِيمُ القَدْرِ أَشْرَفُهُ
مَضَى وَأَعْظَمَ مَفْقُــودٍ فَجِعْتُ بِهِ مَنْ لاَ نَظِيرَ لَهُ فِي الْخَلْقِ يَخْلُفُهُ[42]

وتمثل الإمام إسماعيل الحاكمي بعد وفاته بقول أبي تمام:

عَجِبتُ لصَبْرِي بَعْـدَهُ وَهُوَ مَيِّتٌ وكُنْتُ امرءًا أَبْكِي دَمًا وَهُوَ غَائِبُ
عَلَى أَنَّهَا الأَيَامُ قد صِـــرْنَ كُلُّـهَا عَجَائِبُ حَتَّى لَيْـسَ فِيهَا عَجَائِبُ

وقد سأله بعض أصحابه قبيل موته فقال: **عليك بالإخلاص، عليك بالإخلاص**، فلم يزل يكررها حتى مات[43].

من مؤلفات الغزالي الأصولية:

- **المنخول من تعليقات الأصول**: وهو أول ما أَلَّفَ الغزالي في أصول الفقه. حققه الدكتور محمد حسن هيتو، وطَبَعَتْهُ دار الفكر ببيروت. يرى ابن السبكي أن الغزالي كتبه في حياة شيخه إمام الحرمين،ولكن المحقق الدكتور هيتو يُردُّ ذلك اعتمادًا على ظاهر بعض نصوص المنخول.
- **شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل**: حققه الدكتور حمد الكبيسي، وَنُشِر أوَّل مرة عن مطبعة الإرشاد ببغداد سنة 1390هـ/1971م وقد طَبَعَتْهُ في بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1420هـ/ 1999م.
- **كتابٌ في مسألة «تصويب المجتهدين» أو: «كل مجتهد مصيب»**.
وهو الفصل الذي أشار إليه الإمام الغزالي في المستصفى في قوله: «فصل به تمام كشف القناع عن غموض المسألة، ألحقناه بعد الفراغ من تصنيف الكتاب وانتشار النسخ»[44].
- **أساس القياس**: حققه الأستاذ الدكتور فهد محمد السدحان، ونشرته مكتبة العبيكان- الرياض سنة 1413هـ /1993م
- **حقيقة القولين**: يعني القولين المنسوبين إلى الشافعي. وهو مخطوط، توجد منه نسخة في مكتبة بني جامع بإستانبول برقم 865.

- **تهذيب الأصول**: ذكره الغزالي في المستصفى؛ ولا يعرف له وجود بين المخطوطات المتاحة للباحثين في تراث الغزالي.
- **المستصفى من علم الأصول**، وهو الكتاب الذى نقدم له. وقد أجمع كل من تناول حياة الإمام الغزالي، ومؤلفاته، على نسبته إليه.

الإجماع على نسبة المستصفى للإمام الغزالي

كتاب «**المستصفى من علم الأصول**» هو آخر مؤلفات الغزالى الأصولية الكبرى، وقد ذكر **ابن خلكان**[45] أنه فرغ من تصنيفه فى السادس من شهر محرم سنة 503هـ/1109م. أى قبل عامين ونصف من وفاته. ولا نستطيع القطع بالمكان الذى ألف الغزالي فيه المستصفى: فهل كتبه لطلبة العلم فى نظامية نيسابور؟ أم كتبه للطلبة والمريدين الذين تجمعوا فى الخانقاة التي بناها قريبا من داره فى طوس؟

وإذا تأملنا قول الغزالى فى مقدمة المستصفى: «فاقترح عَليَّ طائفة من مُحَصِّلي علم الفقه تصنيفًا فى أصول الفقه أصرف العناية فيه إلى التلفيق بين الترتيب والتحقيق، وإلى التوسط بين الإخلال والإملال على وجه يقع فى الفهم دون **كتاب تهذيب الأصول** لميله إلى الاستقصاء والاستكثار، وفوق **كتاب المنخول** لميله إلى الإيجاز والاختصار»[46]؛ علمنا أنه طُلب منه أن يُصنف فى علم الأصول، ومسائله على نحو مغاير لما اشتهر فى كتبه الأصولية الأولى؛ وأنه استجاب لطلب «مُحَصِّلِي عِلْم الفقه» فكتب المستصفى، فالأشبه أن يكون ألَّفه فى المدرسة النظامية فى نيسابور، أو فى نهاية عهده بها. والعلم عند الله.

انتشرت نسخ المستصفى فى حياة الغزالى، وأثار الكتاب اهتمام العلماء، وجدلهم حول بعض مسائله. ويشير الغزالى إلى نموذج من ذلك فى سياق بحث «تصويب المجتهدين» من المستصفى، واضطراره إلى إلحاق فصلٍ مُحرَّرٍ* يجلّى رأيه فى المسألة بعد أن انتشرت نسخ الكتاب الأولى.

* المستصفى صـ: 681، فقرة: 4295

لمحة عن مباحث المستصفى ونظامه:

أتيح للغزالى أن يؤلف كتبا في علم أصول الفقه- أو بعض مباحثه - على الأقل ثلاث مرات، وفى مراحل مختلفة من عمره؛ فكتب **المنخول** فى شبابه وأول طَلَبِهِ للعلم، وكتب **تهذيب الأصول** فى سِنِيِّ نُضْجِه واستقصى فيه المسائل،

وأكثر من إيراد الآراء والحجج والرد عليها، ثم أَلَّفَ **المستصفى** في سِنِيِّهِ الأَخِيرة، وبعد أن بلغ رتبة الاجتهاد الشرعى، ووصل إلى أوج نضجه الفكرى.

وتنظيم الغزالي للمسائل الأصولية فى المستصفى خير شاهد على عبقريته، وامتلاكه لناصية هذا الفن. وقد شرح منهجه فى صدر المستصفى، وأعلن عن نيته فى أن يجمع فيه بين الترتيب والتحقيق؛ ليُيَسِّر حفظ الكتاب وفهم مراميه، قال عن عمله: «.... فصنفته وأتيت فيه بترتيب لطيف عجيب؛ يطلع الناظر فى أول وهلة على جميع مقاصد هذا العلم، ويفيده الاحتواء على جميع مسارح النظر فيه» ✱.

✱ المستصفى صـ: 5، فقرة: 14

فكيف رتب الغزالى كتابه المستصفى وكيف نظم مادته؟

يبدأ أولاً في عرض خطة بحثه في علم الأصول، وبيان هيكل البحث وبنيته العامة. يفعل ذلك كله في ما يقرب من (350) كلمة، قال رحمه الله:

«**العلم الملقب بأصول الفقه قد رتبناه وبنيناه على**: مقدمة، وأربعة أقطاب:

المقدمة لها كالتوطئة. والتمهيد والأقطاب هي لباب المقصود.

أولا: معنى أصول الفقه، وحدُّه، وحقيقته.

ثانيا: مرتبته ونسبته إلى العلوم.

ثالثا: كيفية انشعابه إلى هذه المقدمة والأقطاب الأربعة.

رابعا: كيفية اندراج أقسامه وتفاصيله تحت الأقطاب الأربعة.

خامسا: وجه تعلُّقِهِ بهذه المقدمة.

كيفية دورانه على الأقطاب الأربعة: نظر الأصولي في وجوه دلالة الأدلة السمعية على الأحكام الشرعية مقصوده كيفية اقتباس الأحكام من الأدلة فوجب النظر في: (1) الأحكام. (2) ثم في الأدلة وأقسامها. (3) ثم في كيفية اقتباس الأحكام من الأدلة. (4) ثم في صفات من له أن يقتبس الأحكام. فإن الأحكام ثمرات: وكل ثمرة لها صفة وحقيقة في نفسها ولها مثمر. ومستثمر وطريق في الاستثمار:

(1) **والثمرة هي الأحكام**: الوجوب، والحظر، والندب، والكراهة، والإباحة، والحسن والقبح، والقضاء والأداء، والصحة والفساد، وغيرها.

(2) **والمثمر هي الأدلة** وهي ثلاثة الكتاب والسنة والإجماع فقط.

(3) **وطرق الاستثمار** هي وجوه دلالة الأدلة وهي أربعة: إذ الأقوال إما أن تدل على الشيء بـ: صيغتها ومنظومها؛ أو بـ: فحواها ومفهومها؛ أو بـ: اقتضائها وضرورتها؛ أو بـ: معقولها ومعناها المستنبط منها؛ وهو الاقتباس الذي يسمى قياسًا ✱.

✱ قارن بفقرة: 2183

(4) **والمستثمر هو المجتهد**، ولا بد من معرفة صفاته وشروطه وأحكامه.

فإذا جملة الأصول تدور على أربعة أقطاب: **القطب الأول**: في الأحكام والبداءة بها أولى

لأنها الثمرة المطلوبة. **القطب الثاني**: في الأدلة وهي الكتاب والسنة والإجماع وبها التثنية إذ بعد الفراغ من معرفة الثمرة لا أهم من معرفة المثمر. **القطب الثالث**: في طريق الاستثمار وهو وجوه دلالة الأدلة وهي أربعة: دلالة بالمنظوم، ودلالة بالمفهوم، ودلالة بالضرورة والاقتضاء، ودلالة بالمعنى المعقول. **القطب الرابع**: في المستثمر وهو المجتهد الذي يحكم بظنه ويقابله المقلد فيجب ذكر شروط المقلد والمجتهد وصفاتهما».

ثم يشرع **ثانياً** في بيان أسرار ترتيبه للمادة الأصولية، وشَرْحِ فلسفته في وضع المباحث في مواضعها ويستغرق ذلك منه نحو (650) كلمة. وهدفه التيسير على دارس علم الأصول، بعرض قضاياه في نظام جامع بديع يسهل الإلمام بخطوطه العامة قبل الشروع فيه؛ لأن «... كل علم لايستولي الطالب فى ابتداء نظره على مجامعه ولامبانيه، فلا مطمع له فى الظَّفَرِ بأسراره ومباغيه...»، قال رحمه الله*:

* المستصفى صـ: 11، فقرة: 56

«بيان كيفية اندراج شعب أصول الفقه تحت الأقطاب الأربعة: أصول الفقه تشتمل على أبواب كثيرة وفصول منتشرة فكيف يندرج جملتها تحت الأقطاب الأربعة؟ فنقول:

※ **القطب الأول** هو الحكم. **وللحكم حقيقة في نفسه وانقسام**: وفي البحث عن حقيقة الحكم في نفسه يتبين أنه عبارة عن خطاب الشرع وليس وصفا للفعل ولا حسن ولا قبح ولا مدخل للعقل فيه ولا حكم قبل ورود الشرع، وفي البحث عن أقسام الحكم يتبين **حد الواجب والمحظور والمندوب والمباح والمكروه والقضاء والأداء والصحة والفساد والعزيمة والرخصة وغير ذلك من أقسام الأحكام**.

وله تعلق **بالحاكم** وهو الشارع: وفي البحث عن الحاكم يتبين أن لا حكم إلا لله، وأنه لا حكم للرسول ولا لمخلوق على مخلوق بل كل ذلك حكم الله تعالى ووضعه لا حكم لغيره.

والمحكوم عليه وهو المكلف. وفي البحث عن المحكوم عليه يتبين خطاب الناسي والمكره والصبي وخطاب الكافر بفروع الشرع وخطاب السكران ومن يجوز تكليفه ومن لا يجوز.

وبالمحكوم فيه وهو فعل المكلف. وفي البحث عن المحكوم فيه يتبين أن الخطاب يتعلق بالأفعال لا بالأعيان وأنه ليس وصفا للأفعال في ذواتها. وبالمظهر له وهو **السبب والعلة**: وفي البحث عن مظهر الحكم يتبين حقيقة السبب والعلة والشرط والمحل والعلامة فيتناول هذا القطب جملة من تفاريق فصول الأصول أوردها الأصوليون مبددة في مواضع شتى لا تتناسب ولا تجمعها رابطة فلا يهتدي الطالب إلى مقاصدها ووجه الحاجة إلى معرفتها وكيفية تعلقها بأصول الفقه.

※ **القطب الثاني** في المثمر وهو الكتاب والسنة والإجماع: وفي البحث عن أصل الكتاب يتبين **حد الكتاب** وما هو منه وما ليس منه وطريق إثباته وأنه التواتر فقط وبيان ما يجوز أن يشتمل عليه الكتاب من حقيقة ومجاز وعربية وعجمية. وفي البحث عن **السنة** يتبين حكم الأقوال والأفعال من الرسول وطرق ثبوتها من تواتر وآحاد وطرق روايتها من مسند ومرسل وصفات رواتها من عدالة وتكذيب إلى تمام كتاب الأخبار ويتصل بالكتاب والسنة كتاب **النسخ** فإنه لا يرد إلا عليهما وأما **الإجماع** فلا يتطرق النسخ إليه. وفي البحث عن أصل

الإجماع تتبين حقيقته ودليله وأقسامه وإجماع الصحابة وإجماع من بعدهم إلى جميع مسائل الإجماع.

* **القطب الثالث** في طرق الاستثمار وهي أربعة: (1) دلالة اللفظ من حيث صيغته، وبه يتعلق النظر في صيغة الأمر والنهي والعموم والخصوص والظاهر والمؤول والنص والنظر في كتاب الأوامر والنواهي والعموم والخصوص نظرٌ في مقتضى الصيغ اللغوية. (2) الدلالة من حيث الفحوى والمفهوم فيشتمل عليه كتاب المفهوم ودليل الخطاب. (3) الدلالة من حيث ضرورة اللفظ واقتضاؤه ويتضمن جملة من إشارات الألفاظ. (4) الدلالة من حيث معقول اللفظ، ومنه ينشأ القياس، وينجر إلى بيان جميع أحكام القياس وأقسامه.

* **القطب الرابع** في المستثمر وهو المجتهد وفي مقابلته المقلد: وفيه يتبين صفات المجتهد وصفات المقلد والموضع الذي يجري فيه الاجتهاد دون الذي لا مجال للاجتهاد فيه والقول في تصويب المجتهدين وجملة أحكام الاجتهاد

فهذه جملة ما ذكر في علم الأصول وكيفية انشعابها من هذه الأقطاب الأربعة.

بيان المقدمة المنطقية ووجه تعلق الأصول بها:

لما رجع حد أصول الفقه إلى معرفة أدلة الأحكام اشتمل الحد على ثلاثة ألفاظ: المعرفة، والدليل، والحكم فقالوا: إذا لم يكن بد من معرفة الحكم؛ فلا بد أيضا من معرفة الدليل، ومعرفة العلم، ثم العلم لا وصول إليه إلا بالنظر فلا بد من معرفة النظر، فشرعوا في بيان حد العلم والدليل والنظر... وذلك مجاوزة لحد أصول الفقه وخلط له بالكلام وإنما أكثر فيه المتكلمون من الأصوليين لغلبة الكلام على طبائعهم... كما حمل حب اللغة والنحو بعض الأصوليين على مزج جملة من النحو بالأصول... وكما حمل حب الفقه جماعة من فقهاء ما وراء النهر كأبي زيد رحمه الله على مزج مسائل كثيرة من تفاريع الفقه بالأصول... وبعد أن عرفناك إسرافهم في هذا الخلط فإنا لا نرى أن نخلي هذا المجموع عن شيء منه؛ لأن الفطام عن المألوف شديد، والنفوس عن الغريب نافرة؛ لكنا نقتصر من ذلك على ما تظهر فائدته على العموم. **وليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول ولا من مقدماته الخاصة به بل هي مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلاً، فمن شاء أن لا يكتب هذه المقدمة فليبدأ بالكتاب من القطب الأول فإن ذلك هو أول أصول الفقه...».**

مصادر الغزالي في المستصفى:

أفاد الغزالى من أمهات كتب الأصول التى سبقته، وأهمها الرسالة للإمام الشافعى، ونهل من كتاب شيخه الجوينى «البرهان»، ونقل في ستين موضعًا آراء القاضى أبى بكر الباقلانى التى أودعها في «التقريب والإرشاد» الكبير والصغير. وافقه في عشرين منها، وخالفه في الباقي*. ولا نملك الآن أن نجزم بأن الغزالي كان يرجع إلى كتب القاضي الباقلاني مباشرة، أم أنه كان يُعَوِّل على اختصار شيخه الجويني المعروف بـ: «**كتاب التلخيص في أصول الفقه**»؛ نَشْرَةِ عام 1996م، التي أخرجها الدكتور عبدالله جولم النيبالي، وزميله شبير أحمد العمري

* انظر الفهرس الذي خصصناه لذلك صـ: 893–896

في ثلاث مجلدات. وسوف نعود- بإذن الله- إلى تحقيق ذلك في مقام آخر لإلقاء الضوء على تطور التأليف الأصولي، وإظهار تأثر اللاحق بالسابق.

ولا شك أن الغزالى اطلع على أمهات كتب المعتزلة الأصوليَّة؛ ودليل ذلك حجاجُهُ لهم ورُدُودُهُ الكثيرة على مذهبهم، بعد تقريرها. بيد أننا لانملك القطع بنقل الغزالى عن كتاب أصولي معتزلي بعينه. ويظن الدكتور الأشقر أن الغزالى رجع إلى كتاب المعتمد لأبي الحسين البصري المعتزلي[47].

والملاحظ أن الغزالي صرف عنايتهُ فى المستصفى إلى النقل الصحيح لمذاهب الأصوليين دون ذكر أسمائهم إلا فى القليل النادر. لكنه أكثر نقل آراء عن القاضي أبى بكر الباقلانى وأشار إليه غالباً بقوله «قال القاضِي»[48].

طريقة الغزالي في المستصفى:

تغلب على أسلوب المستصفى طريقة أهل الجدل والمناظرة، فالغزالي ينقل الرأي الذي يخالفه- وغالبًا ما يكون رأيًا للمعتزلة أو التعليمية- ثم يجيب عليه بصيغة «فإن قيل: ... قلنا:». وهذا الأسلوب شائع في دواوين التراث التي تناولت العلوم العربية والإسلامية. وهو منهج غير مألوف في أسلوب الكتابة المعاصرة اللهم إلاَّ في ساحات الحوار، والمناظرات الفكرية.

ونلاحظ على هذه الطريقة عدَّةَ أمورٍ:

أولها: اعتبـار الرأي الآخر- ولو كان مخـالفًا- في سبيل تحرير مواطن الخلاف، لمعرفة الحقيقة.

ثانيها: رعاية الالتزام الخلقي بحرية التعبير، والأخذ بمبدأ النفع العام؛ وهذا يقتضي الإصغاء إلى المخالفين، ومقارعة الحجة بالحجة للوصول إلى الحقيقة.

ثالثها: الاستطراد والتوسع في إيراد الشُّبه، والردِّ عليها وقد عابه الغزالي، لكن لم ينج منه، وحين يستشعر بعده عن لبّ القضية موضوع البحث يقول: فنرجع الآن إلى المقصود*.

* صـ: 311، 574

وقد استأثر المعتزلة بنصيب وافر من ردود الغزالي، وحجاجه في المستصفى،

لأن أفكارهم ذاعت وصار لها نفوذ كبير، وعُرِفوا بنشاطهم في استمالة الحكام والعوام، فأراد الغزالي أن يرد عليهم بما يراه حقًا وصوابًا، وأقرب إلى نصوص الشريعة ومضامينها، ومقاصدها.

اهتمام العلماء بالمستصفى:

كان الشيخ **فخر الدين الرازي** صاحب كتاب «**المحصول فى علم أصول الفقه**» يحفظ نصَّ المستصفى عن ظهر قلب[49].

وفي «المعتبر» للزركشي* «قيل: إن **سيف الدين الأمدي صاحب كتاب الإحكام فى أصول الأحكام** كان يحفظه»، وكان المستصفى أحد الكتب الأربعة التي لخصها كل من الرازي في «المحصول»، والآمدي في «الإحكام». * صـ: 272

وقد نَوَّهَ العلاّمة «عبدالرحمن بن خلدون» بقيمة المستصفى في مقدمته الشهيرة؛ فقال: «أحسن ما كتب المتكلمون في أصول الفقه: «البرهان لإمام الحرمين [الجويني]»، و«المستصفى للغزالي» وهما من الأشعرية، و«كتاب العمد» للقاضي عبدالجبار المعتزلي، وشرحه «المعتمد» لأبي الحسين البصري، وهما من المعتزلة. ثم قال: «هذه الكتب الأربعة قواعد الفن وأركانه»[50].

شروح المستصفى:

تصدى لشرح المستصفى غير واحد من العلماء منهم:

* محمد بن سعدون العبدرى، الأندلسى ثم البغدادى (ت: 524هـ / 1129م).
* أبو العباس أحمد بن على أبى بكر (ت: 665هـ/ 1266م).
* الحسن أو الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن محمد القرشي الفهري الغرناطي، البلنسي الأصل، المالكي، المعروف بابن الناظر (ت: 680هـ/ 1281م).
* أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد العامرى الغرناطى المالكى (ت 699هـ/ 1299م).
* أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن مسعدة العامري (ت: 699هـ/ 1299م).
* محمد بن محمد بن محمد العبدرى الفاسى المعروف بابن الحاج (ت: 737هـ/ 1336م).
* أبو على حسين بن عبد العزيز الفهرى البلنسى (ت: 679 هـ/ 1280م) كشف الظنون 1673/2.
* زين الدين سريج بن محمد الملطى ت 788هـ/ 1386م. وسماه: «مستقصى الوصول إلى مستصفى الأصول»
* تعليقات على المستصفى أشار إليها حاجي خليفة لسليمان بن دواد بن محمد الغرناطى (ت: 639هـ/ 1241م).

حواشي المستصفى:

- سهل بن محمد بن سهل بن أحمد بن مالك الأزدي، الغرناطي، المالكي، أبو الحسن. فقيه، محدث، أصولي، عالم بالعربية (ت: 639هـ - 1241م)
- أحمد بن محمد بن أحمد الأزدي، الإشبيلي، المالكي، أبو العباس، المعروف بابن الحاج (ت: 651هـ - 1253م)، وقد سماها حاشية مشكلات المستصفى.

مختصرات المستصفى:

اعتنى عدد من العلماء باختصار المستصفى بغرض التيسير على أنفسهم فى استحضار مسائله، أو التيسير على طلبة علم الأصول ممن لا يحسنون الاستفادة من المطولات. ومن هؤلاء العلماء الذين اختصروا المستصفى:

- ابن رشد القرطبي الحفيد؛ ولد عام 520 هجري- 1126م في قرطبة (ت: 595هـ - 1198م)
- الشيخ جلال الدين أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشائر بن شاس الجذامي السعدي المصري المالكي مصنف كتاب «الجواهر الثمينة في فقه أهل المدينة». مات غازيا بثغر دمياط عام 616هـ/ 1219م.
- ابن قدامة، الإمام موفق الدين: عبد الله المقدسى (ت: 620هـ/1223م).
- وابن رشيق. والسهروردي الحكيم[51].
- أحمد بن محمد الأزدي الأشبيلي المالكي المعروف بابن الحاج، ت: 651هـ/1253 م[52].

أهم مختصرات المستصفى:

الأول: ما قام به **ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الحفيد القرطبي** وسمى مختصره: **«الضروري فى أصول الفقه»**، وقد بالغ ابن رشد فى الاختصار لكنه احتفظ بالهيكل العام للمستصفى، وحاول أن يستدرك على الغزالي بتجريد مختصره من المسائل الكلامية، والأمثلة الفقهية التي تخرج- في اعتقاده- عن لُبِّ التأليف الأصولي وأغراضه المباشرة. وقد نشرته دار الغرب الإسلامي عام 1994م، بتحقيق الأستاذ جمال الدين العلوي، ويقع نص الكتاب (من غير مقدمات التحقيق) فى 112 صفحة من القطع الصغير. وقد بين القاضي ابن رشد غرضه من اختصار المستصفى فقال: «غرضي من هذا الكتاب أن أثبت لنفسي على جهة التذكرة من كتاب أبي حامد- رحمه الله- في أصول الفقه الملقب بالمستصفى، جملة كافية بحسب الأمر الضروري في هذه الصناعة

ونتحرى في ذلك أوجز القول وأخصره..»[53]. ويبدو أن ابن رشد أقبل في بداية عمره على تلخيص العلوم الهامة، فلخص الفقه في كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» والنحو في كتابه «الضرورى فى النحو»[54].

والثاني: ما قام به العلاَّمةُ «**ابن قدامة الإمام موفق الدين: عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي**» (ت: 620هـ/ 1223م). وسمى مختصره «**روضة الناظر وَجنَّة المناظر**»، وقد اجتهد ابن قدامة في اختصاره للمستصفى، وصار عمله من أشهر كتب الأصول في مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ويمتاز اختصار ابن قدامة على «**كتاب الضروري في أصول الفقه**» لابن رشد بأنه أقرب إلى التأليف الأصولي منه إلى المعنى الضيق للاختصار. وقد انتفع ابن قدامة- في اختصاره للمستصفى- من كتب الأصول عند الحنابلة، مثل: «العدة» لأبي يعلى، و«التمهيد» لأبي الخطاب، و«الوصول إلى الأصول» لابن برهان. لكن عمدته في الروضة هو المستصفى، ومن العجيب أنه- غفر الله له- لم يشر إلى المستصفى أو إلى مؤلفه في ثنايا «الروضة» إلا مرة واحدة، (الروضة 712/2).

وقد حقق «**روضة الناظر**» وشرحها بتوسع وإتقان الأستاذ الدكتور **عبدالكريم بن علي بن محمد النملة**، في ثمان مجلدات وسمى شرحه: «**إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**».

طباعة المستصفى:

أول طبعة للمستصفى تمّت في **المطبعة الأميرية في بولاق** بالقاهرة في مجلدين (عام 1322هـ/ 1904م)، وطبع بهامشه كتاب «فواتح الرحموت» للعلامة عبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري بشرح «مسلم الثُّبوت في أصول الفقه» للشيخ محب الله بن عبد الشكور (1119هـ/ 1707م). و في عام: 1324هـ/ 1906م طُبعَ الكتابُ مرة أخرى في **المطبعة الأميرية** على نفقة الشيخ فرج الله زكي الكردي وأشرف على تصحيحها الأستاذ محمد البلبيسي الحسيني. وقد قامت **المطبعة التجارية الكبرى** بطبع نصِّ المستصفى وحدهُ في مجلد يشمل

الجزأين. عام 1356هـ/ 1937م، وهي مأخوذة عن الطبعة الأميرية. وصُوِّرَت نسخة المطبعة الأميرية وأعيد طبعها مرات عديدة في بغداد، وبيروت، والقاهرة، ومنها **طبعة دار الفكر** للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ، في مجلدين، ويزعم ناشرها أنها صُوِّرت عن نسخة المطبعة الأميرية- بولاق مصر- سنة 1324هـ. وهي طبعة سوقية تالفة لا يعتمد عليها، اختلطت فيها الصفحات، فمثلاً: صفحة 119، 122، 127 من الجزء الأول مكررة في الجزء الثاني بدلاً من صفحات المجلد الثاني الأصلية. وأخرجت **دار الكتب العلمية** (لبنان) طبعة في مجلد بتصحيح (محمد عبد السلام عبد الشافي)، وهي مأخوذة عن الطبعة الأميرية، ولا تشتمل على النص الذي ألحقه الغزالي لكشف الغموض عن مسألة تصويب المجتهدين. وفي عام 1995م أخرجت **دار صادر** (لبنان) طبعة أخرى في جزأين باعتناء د. محمد يوسف نجم، وهي أيضًا مأخوذة عن الطبعة الأميرية، ألحق بها فهارس.

ومضى قريب من قرن قبل أن ينال المستصفى مايستحقه من عناية تليق بمكانته بين أمَّهات كتب الأصول، فلم يطبع في نشرة علمية وفق معايير التحقيق العالمية حتى قيّض الله له عالمين جليلين، هما الأستاذ الدكتور **حمزة زهير حافظ**[55]، والأستاذ الدكتور **محمد سليمان الأشقر**[56]. كل واحد منهما خدم الكتاب خدمة جليلة- بتحقيقه- مع تباين في منهجيهما، وفي المخطوطات التي عَوَّلا عليها، وفي حجم الكتاب وطريقة تنسيقه.

وفي وقت اشتغالي بترجمة الجزء الأول للمستصفى في عام 1985م، وقبل ظهور الطبعتين المشار إليهما، لم يكن متاحًا لي إلاّ الطبعة البولاقية، وطبعة المكتبة التجارية الكبرى، ومخطوطة وحيدة صوَّرتها لي مكتبة جامعة شيكاغو على ميكروفلم من مكتبة جوتا في ألمانيا، ونفعتني آنذاك في فك الغموض فى بعض المواضع فى نص الطبعة البولاقية بسبب ما وقع فيها من سقط، أو تحريف لبعض الألفاظ.

هذه النشرة:

ولما انعقد العزم على إكمال ترجمة نص المستصفى إلى اللغة الإنكليزية، رأيت

أن أقدم نشرة جديدة تصاحب الترجمة وتُيسّر الإحالة إليها من النص الإنكليزي.

ويلتقي عملنا في خدمة النص العربي للمستصفى مع الغاية العظمى لتحقيق كتب التراث، وينتهي إلى النتيجة التي يبتغيها كل من يريد تقديم نصٍّ تراثي، أعني أن يكون نصًّا صحيحًا واضحًا، متقن التنسيق والطباعة، وأن يكون مدققًا على أكمل وجهٍ ليوافق النسخة التي كتبها أو أملاها مؤلفها أو اعتنى بها العلماء المعرفون بالتَّثَبُّت والتحقيق. وقد يسر الله تعالى لنا ذلك؛ لأنه قد أتيح لنا في هذه النشرة أن ننتفع بمصورتي معهد المخطوطات العربية، وبجهد مصححي الطبعة البولاقية، وبثمرة التحقيق الذي قام به الشيخ محمد الأشقر، والشيخ حمزة زهير حافظ، وقد ضَمَّنْتُ كثيرًا من الزيادات في طبعتيهما في هذه النشرة، وتعدَّى النفع بعد ترجمتنا لنص المستصفى إلى آفاق الناطقين باللغة الإنكليزية. ولم نخلط بين غرضنا من تحقيق النص وضبط ألفاظه، وبين شرحه وتفسيره، فذاك عمل آخر. وانتفعنا بمنهج العلاَّمة الدكتور/ عبد العظيم الديب؛ الذي نص عليه في مقدمة تحقيقه لكتاب- إمام الحرمين الجويني- «الغياثي»؛ قال- حفظه الله-: «... فليس التعليق على المخطوطات استعراضًا للمعلومات، واستطرادًا لأدنى ملابسة، وليس شرحًا للنص وتفسيرًا، وإنما يباح منه القدر الذي يعين على فهم النص، ويزيده توثيقًا. وملاك الأمر ألا يفرض المحقق فهمه على القرّاء، ولا على المؤلف».

وإليك تفصيل ما استندنا إليه في تحقيق النص وتحرير ألفاظه، من الأصول المخطوطة، والنسخ المطبوعة:

1 مخطوطة المستصفى الموجودة بمكتبة أحمد الثالث- تركيا، رقم 1256 أصول فقه، وهي مكتوبة بخط نسخيٍّ نفيس، وأوراقها 256، ومسطراتها 23 سطرًا، وهي بخط: دانيال بن أبي بكر بن الحسن الكلزروني، وبهامشها تعليقات يسيرة، وفي آخرها: «تم الفراغ من تحريره وقت العصر من يوم الأحد الرابع من شهر رمضان لسنة 596 هـ / 1200م وعنها مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم 102 أصول فقه. وقد اكتفينا بإثبات أرقام لوحاتها في الهامش الداخلي للمستصفى. ووضعنا علامة (١١) للإشارة إلى

نهاية وَجْهٍ وبداية آخر.

2 مخطوطة المستصفى الموجودة بمكتبة أحمد الثالث تركيا، رقم 1258 أصول فقه بقلم نسخي، وأوراقها 301، ومسطراتها 21 سطرًا، وبهامشها تعليقات يسيرة، وكان الفراغ من نسخها عام 617 هـ/ 1220م، ولا يُعرف ناسخها، وعنها مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم 103 أصول فقه.

3 مطبوعة المستصفى: الطبعة الأميرية الصادرة في القاهرة 1325هـ، وبهامشها كتاب: «فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه» وقد اعتنى بتصحيحها الشيخ محمد البلبيسي الحسيني- رحمه الله-، واعتمد في نشرها على أكثر من نسخة مخطوطة كما أشار في هامش صفحة 18 من الجزء الأول إلى سقط في إحدى نسخه، قال: «كذا بياض في نسخة، وسقطت هذه العبارة من نسخة أخرى»، إلى أن قال- رحمه الله-: «وحرّر فإن الظن لا يُغني. كتبه مصححه»، المستصفى هامش صـ18 من الجزء الأول، وليس لدينا عِلمٌ شافٌ بحال المخطوطتين أو المخطوطات التي اعتمدها مُصَحِّحُ الطبعة الأميرية.

4 مطبوعة المستصفى: طبعة المكتبة التجارية الكبرى التي صدرت عام 1356هـ/1937م، وأصلها هو «الطبعة الأميرية» مع الاقتصار على نص المستصفى، وحذف كتاب «فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه».

5 مطبوعة المستصفى بتحقيق أ.د. حمزه زهير حافظ الصادرة عن: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر/ جدة بدون تاريخ، وأرَّخَ الدكتور حمزة لمقدمته بتاريخ أول رمضان عام 1413هـ.

6 مطبوعة المستصفى بتحقيق أ.د. محمد سليمان الأشقر، عام 1413هـ/1993م الصادرة في بيروت / لبنان عن دار الرسالة عام / 1997م.

أثبتنا أرقام صفحات الطبعة الأميرية في الحاشية؛ لأنها المرجع الرئيس لجُلِّ الباحثين فيستطيع الآن قارئ هذه النشرة أن يصل إلى مواضع استشهادِ المُحِيلِينَ إلى الطبعة الأميرية.

- أضفنا عناوين في الهامش تضيء النص، وتيسر الانتفاع به[57]. ونبهنا في الهوامش إلى مواضع الإحالات التي ذكرها الغزالي في ثنايا المستصفى؛ لتيسير مراجعتها.
- وضعنا الكلمات والأرقام الزائدة في النصّ بين علامتين رأسِيَّتَيْنِ |...|. أضفنا علامةً مائلةً / في مواضع صفحات الطبعة الأميرية، وبعد الألقاب في المقدمة؛ مثلاً: الدكتور/، وكذلك بين السنين الهجرية والميلادية عند ذكرهما متجاورتين، وحصرنا سني الميلاد والوفاة بين هلالين (../..). وضعنا نصوص الأحاديث، وأسماء الكتب، والنصوص المنقولة بين علامات تنصيص «...». أما النصوص القرآنية فقد كُتِبت بالرسم العثماني بين قوسي قرآن ﴿ ... ﴾.
- ألحقنا ترجمة مختصرة لمشاهير أعلام الأصوليين أو من ناقش الغزالي آراءهم في ثنايا المستصفى.

وألحقنا أيضًا فهارس فنية تشمل الآتي:

1. فهرس مفصل لموضوعات المستصفى ومسائله.
2. فهرس الآيات القرآنية.
3. فهرس الأحاديث.
4. فهرس الآثار.
5. فهرس الأعلام.
6. فهرس التراجم.
7. فهرس الكتب.
8. فهرس المذاهب والفرق.
9. فهرس الأبيات الشعرية.
10. فهرس الآراء التي نقلها الغزالي عن الباقلاني.
11. الفهرس العام.

12. فهرس القواعد الأصولية والفقهية التي أوردها أو ناقشها الغزالي في المستصفى.
13. مراجع لترجمة الإمام الغزالي.
14. فهرس المصادر والمراجع.

ونختم التقدمة بهذه الكلمات النيرات، من قول الأخ الكريم الدكتور النملة: «وإنى أرجو من نظر فى هذا الكتاب أن ينظر فيه بعين الإنصاف، ويعرض عن طريق الاعتساف، حيث لا يخلو كلام من خلل إلا كلام من عصمه الله من الزلل، ...ومن اطلع على شيء يوجب التصحيح فليخبرنى حتى أقوم بتصحيحه إن أمكن، وإن لم يمكن فليصححه: مصلحًا لامفسدًا، ومعاونًا لا معاندًا، ومعاضداً لا حاسداً»[58]. وما أصدق قول القاضي الفاضل في رسالته إلى العماد الأصفهاني: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتابًا في يوم إلا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النّقص على جملة البشر».

والله تعالى المسئول أن يعظم لنا الأجر ويكتب لنا حسنة الدنيا والآخرة[59].

الأستاذ الدكتور
أحمد زكي حماد

هوامش تقديم التحقيق

1 وباللغات العربية، والفارسية، والتركية، والأوردية، والمالاوية، والإنكليزية، والألمانية، والفرنسية، والإسبانية، واليابانية... إلخ.

2 وهو التالي في خطة النشر بعد إخراج النص العربي للمستصفى.

3 سبق لنا التنبيه إلى هذا المعنى تفصيلا في المجلد الأول المخصص لدراسة أصول التشريع عند الإمام الغزالي في كتابه المستصفى من علم الأصول. وهو موضوع أطروحة الدكتوراة التي قدمتها إلى جامعة شيكاجو- قسم لغات الشرق الأدنى وحضاراته في شتاء العام الدراسي 1986/1987م، وشمل المجلدان الثاني والثالث ترجمة للجزء الأول من الطبعة الأميرية لكتاب المستصفى، وقد تمت ترجمة المقدمة المنطقية، والأصول الموهومة لاحقًا.

4 والشطر الثاني لطوس يعرف بـ«النوقان».

5 مؤلفات الغزالي لبدوي: 12.

6 وليس هناك ما يقطع بصحة هذه النسبة.

7 طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 6/193-194، ترجمة رقم: 694.

8 نفس المصدر: 6/193-194.

9 نفس المصدر: 4/91، 6/195.

10 نفس المصدر: 5/603، وكان الفَارَمَذِيُّ أحد كبار الصوفية في خراسان، تتلمذ على الإمام القشيري، وعلى عمّ حجة الإسلام، الشيخ أبي حامد بن محمد الغزالي القديم الكبير ت: 435هـ وترجمته فى طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 4: 87-90.

11 طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 6/195.

12 سير أعلام النبلاء: 19/350-352، ترجمة: 207.

13 طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 6/63 ترجمة: 596.

14 نفس المصدر: 4/103.

15 مؤلفات الغزالي لبدوي: 22.

16 طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 6/204.

17 قال أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: «دخل بغداد في سنة أربع وثمانين، ودرّس بها، وحضرهُ الأئمة الكبار كابن عقيل، وأبي الخطاب، وتعجبوا من كلامه، واعتقدوه فائدة، ونقلوا كلامه في مصنفاتهم» الجزء 10 صـ: 5022، طبعة دار الفكر- بيروت 1415هـ/1995م.

18 يقول الغزالي عن اشتغاله بتعلم الفلسفة: «فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب، بمجرد المطالعة، من غير استعانة بأستاذ، وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التدريس والتصنيف في العلوم الشرعية، وأنا مَمْنُوٌّ (= مبتلى) بالتدريس والإفادة، لثلاث مائة نفر من الطلبة ببغداد، فأطلعني الله تعالى بمجرد المطالعة في هذه الأوقات على منتهى علومهم، في أقل من سنتين. المنقذ صـ: 74، 75.

19 كتابه المستظهري، أو الرد على الباطنية، وكتاب القسطاس المستقيم.

20 M. Bouyges, Essai de chronologie des oeuvres de al-Ghazali; ed. M. Allard; Beirut 1959.

21 W. M. Watt; The Authenticity of the Works Attributed to al-Ghazali - Journal of the Royal Asiatic Society; (pp. 4524) 1952.

22 كتاب سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه – جمع عبدالكريم العثمان

23 Kuwait: Wakalat al-Matbuʿat 1977 (Badawi; ʿAbdurrahman; Mu'allafat al-Ghazali; 2nd ed.

24 طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 197/6.

25 يقول: «ولم أزل في عنفوان شبابي وريعان عمري، منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن، وقد أناف السن على الخمسين، أقتحم لجّة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور، وأتوغّل في كل مظلمة، وأتهجّم على كل مشكلة، وأقتحم كل ورطة، وأتفحّص من عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة، لا أميّز بين مُحقّ ومبطل، ومتسنّن ومبتدع... وقد كان التعطّش إلى دَرْك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله تعالى وضعتا في جبلتي، لا باختياري وحيلتي...». المنقذ صـ: 62–63.

26 يقول: «ثم تفكّرت في نيّتي في التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحرّكها طلب الجاه وانتشار الصيت، فتيقّنت أني على شفا جُرفٍ هارٍ، وأني قد أشفيت على النار، إن لم أشتغل بتلافي الأحوال. فلم أزل أتفكّر فيه مدة، وأنا بعدُ على مقام الاختيار، أصمّم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يومًا، وأحلّ العزم يومًا، وأقدّم فيه رجلاً وأؤخّر عنه أخرى... فلم أزل أتردّد بين تجاذب شهوات الدنيا، ودواعي الآخرة، قريبًا من ستة أشهر؛ أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.. ثم لما أحسست بعجزي، وسقط بالكلية اختياري... أظهرت عزم الخروج إلى مكة وأنا أريد في نفسي سفر الشام... ففارقت بغداد.. » المنقذ صـ: 103، 104.

27 بعد أن ألّف في الرّد عليهم «المستظهري».

28 قال رحمه الله: هذا أمر نزل بالقلب، ومنه سرى إلى المزاج، فلا سبيل إليه بالعلاج، إلاّ بأن يتروّح السر عن الهمّ الملم.

29 انظر: الفيلسوف الغزالي: إعادة تقويم لمنحنى تطوره الروحي، لعبد الأمير الأعسم: صـ: 76–82.

30 المنقذ من الضلال صـ: 123.

31 اغتاله أحد شباب الباطنية الحشاشين في العاشر من محرم سنة 500 هـ/ 1106م.

32 طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 200/6.

33 وما ناله من شهرة بعد وفاته أعظم، وأوسع بين المسلمين وغير المسلمين، في الشرق والغرب.

34 ومن مؤلفاته: المحيط في شرح الوسيط، والإنصاف في مسائل الخلاف (3) انظر: العبر 133/4، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 25/7، وشذرات الذهب 151/4.

35 انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 179/7.

36 انظر نفس المصدر: 36/7.

36م * صـ: 123، فقرة: 771. * صـ: 160، فقرة: 1006. * صـ: 286، فقرة: 1850. * صـ: 212، فقرة: 1347. *صـ: 226، فقرة: 1439. * صـ: 666، فقرة: 4201. * صـ: 596، فقرة: 3749. * صـ: 70، فقرة: 460.

37 مؤلفات الغزالي لبدوي صـ: 462.

38 عِيبَ على الغزالي قلة اكتراثه بمعايير المحدثين، في رواية الأحاديث والآثار، واتهم بترخصه في الاستشهاد بالروايات الضعيفة، بل والموضوعة التي تلائم أغراضه في التأليف.

وقد تولى الحافظ العراقي تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، وبين درجة كل منها في كتابه «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار» و«تخريج ما في الإحياء من الأخبار». والحق أن الغزالي في كتاباته الأصولية- والمستصفى في القطب الثاني منه خير شاهد على إلتزامه بمنهج المحدثين في قبول المرويات، وفي التأكيد على صحة أحاديث الأحكام الشرعية. وكأنه كان يفرق بين الاستشهاد بالأخبار لأغراض الوعظ، والترغيب والترهيب وبين الاستشهاد بالأحاديث والسنن، في سياق استنباط الأحكام، على كل حال، اهتم الغزالي بسماع الحديث في آخر عمره من أصحاب هذا الفن. ونقول مع الإمام الذهبي: «رحم الله الإمام أبا حامد، فأين مثله في علومه وفضائله، ولكن لا ندعي عصمته من الغلط والخطأ، ولا تقليد في الأصول». سير أعلام النبلاء: 346/19.

39 طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 210/6.

40 طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 211/6.

41 طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 201/6.

42 معجم البلدان- دار الكتب العلمية: 56/4.

43 المنتظم: 5024/10.

44 أثبته الدكتور الأشقر 437/2-447، والدكتور حافظ: 93/4-111.

45 وفيات الأعيان: 217/4-218.

46 المستصفى: صـ: 5.

47 مقدمة المستصفى من علم الأصول للدكتور الأشقر 14/1.

48 انظر الفهرس الذي أفردناه لبيان ما أورده الغزالي من آراء الباقلاني صـ: 893-896.

49 انظر مقدمه صديقنا الدكتور العلاّمة طه جابر العلواني لنشرته الفائقة المحققة لكتاب المحصول 36/1.

50 انظر: مقدمة ابن خلدون، الفصل الخامس عشر الذي عقده للكلام على أصول الفقه ج: 2 صـ: 138 فقرة: 19/2، من نشرة مؤسسة الكتب الثقافية في بيروت بتحقيق السعيد المندوه ط3، سنة 1997م.

51 كشف الظنون صـ: 1673.

52 كشف الظنون صـ: 1673، والبحر المحيط 8/1، وهدية العارفين صـ: 95.

53 الضرورى فى أصول الفقه صـ: 34.

54 انظر بداية المجتهد صـ: 34.

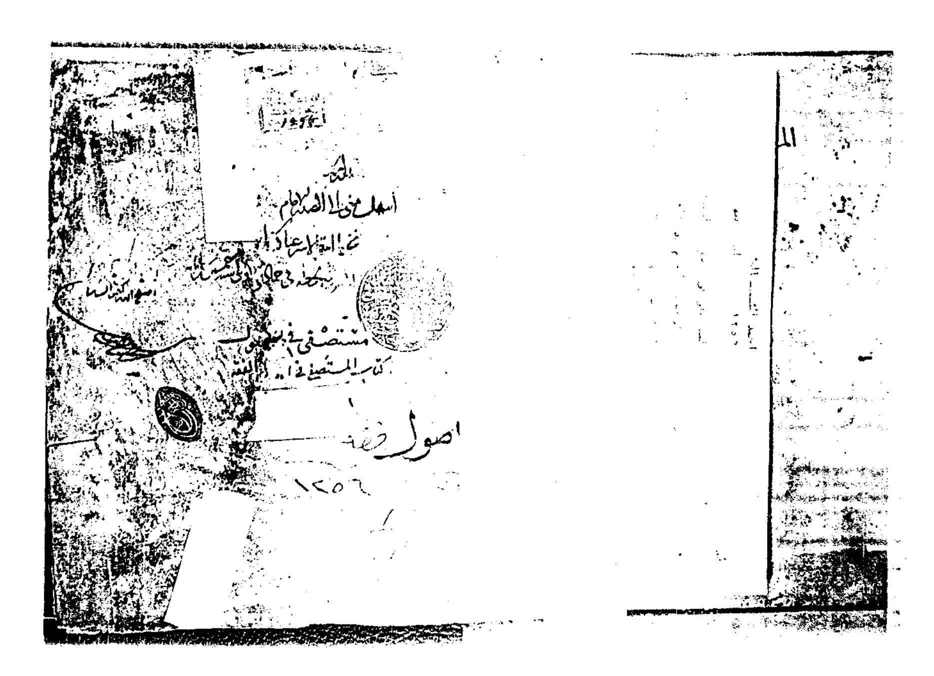
55 وتقع نشرة الدكتور حافظ في أربع مجلدات طبعت في جدة (بدون تاريخ) في مطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر فرع جدة، وتزيد في صفحاتها على ألفي صفحة تكشف عن الجهد العظيم في إخراجها، وتمتاز بفهارسها الفنية التي لا توجد في طبعات المستصفى، واعتمد المحقق علي مخطوطتين: الأولي: في مكتبة أحمد الثالث، برقم: 1256أصول. الثانية: في مكتبة أحمد الثالث، برقم: 1258أصول.

56 وتقع نشرة الأستاذ الدكتور محمد سليمان الأشقر فى مجلدين وعدد صفحاتها ألف. وتمتاز بتحرير النص وتدقيقه. وتعليقاتُه على قلتها، والإيجاز في عبارتها مفيدة. أما المخطوطة التي اعتمد عليها فهي محفوظة في مكتبة جستربتي، في مدينة دبلن- أيرلاندا برقم: (3879)، وهذه الطبعة أخرجتها مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417 هـ /1997م.

57 وقد عدلنا عن فكرة وضع النص العربي مقابل النص الإنكليزي، وفصلنا بينهما. وغرضنا من ذلك أن يُقرأ كل نصٍّ على النحو الطبيعي المعتاد بين أهله: النص العربي من اليمين، والنص الإنكليزي من اليسار.

58 بتصريف من مقدمته لإتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر في الجزء الأوّل.

59 المرجع الأول لمعالم حياته، وأطوار فكر الإمام الغزالي هو كتابه: «المنقذ من الضلال»، ثم ترجمة معاصره وتلميذه الإمام عبدالغافر الفارسي في تاريخ نيسابور: «المنتخب من السياق»، وقد وضعنا بين يدي القارئ قائمة تضم طائفة صالحة من المؤلفات العربية التي ترجمت للإمام الغزالي في القديم والحديث، أو تناولت حياته ومؤلفاته بالدّرس أو العرض أو النقد، وهي مُرَتَّبَة ترتيبًا هجائيًا، ونؤكد على أهمية أعمال كل من: «عبد الرحمن بدوي في كتابه: «مؤلفات الغزالي». وعبد الأمير الأعسم في كتابه: «الفيلسوف الغزالي: إعادة لمنحنى تطوره الروحي»، ورفيق العجم في كتابه الحافل: «موسوعة مصطلحات الإمام الغزالي»، وعبد الكريم العثمان في كتابه: «سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه»، وكتاب ميثم الجنابي: الغزالي «التآلف اللاهوتي - الفلسفي - الصوفي» في أربعة أجزاء، وكتاب مونتجمري وات: «Muslim Intellectual: A Study of Al-Ghazali». وقد ألحقنا قائمة بأهم المراجع التي ترجمت للغزالي أو التي تناولت حياة حجة الإسلام، وأعماله، وآثاره. انظر صـ: 932.

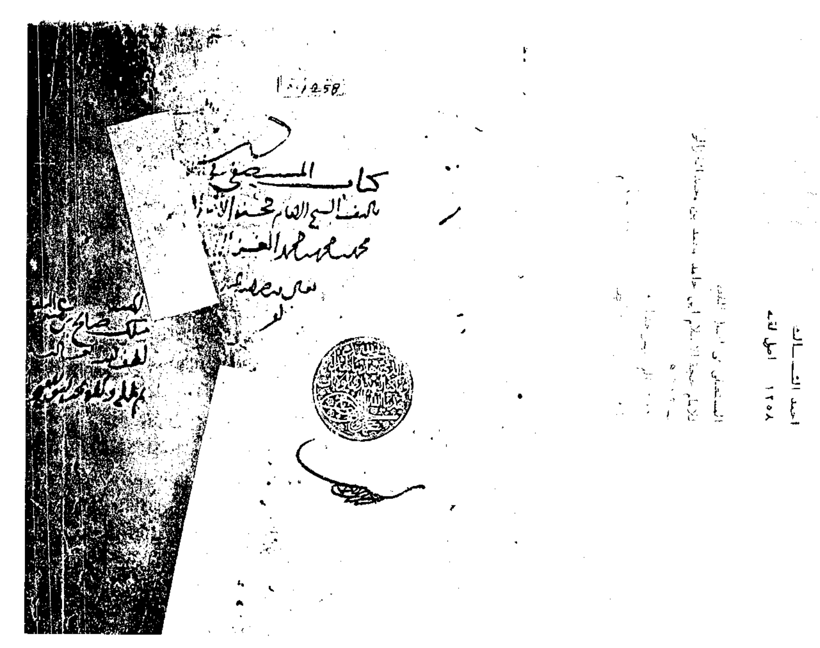


لوحة العنوان من مخطوطة أحمد الثالث رقم: ١٢٥٦

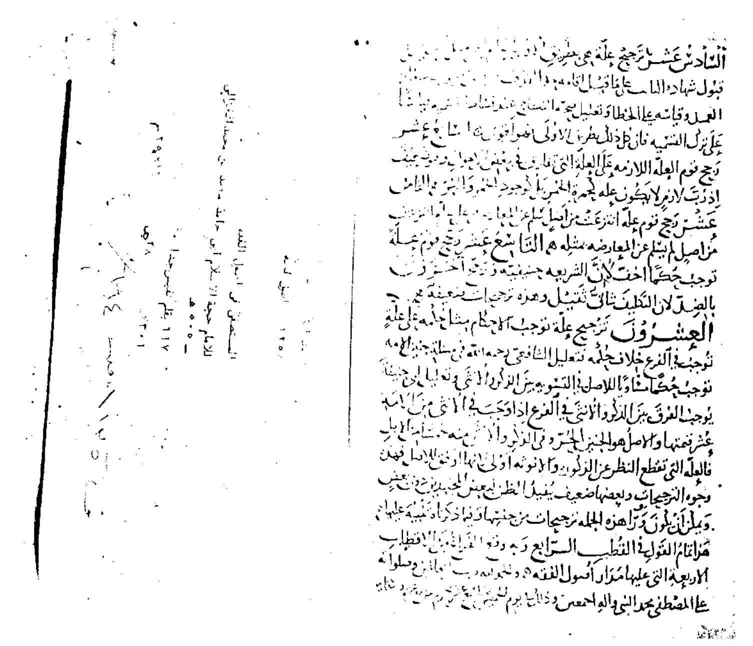
الصفحة الأخيرة من مخطوطة أحمد الثالث رقم: ١٢٥٦

وهي بخط: دانيال بن أبي بكر بن الحسن الكازروني بتاريخ ٥٩٦ هجرية

صورة لصفحات الأقطاب الأربعة من مخطوطة أحمد الثالث رقم: ١٢٥٦



لوحة العنوان من مخطوطة أحمد الثالث رقم: ١٢٥٨
وانتهى نسخها يوم الخميس التاسع والعشرون من المحرم عام ٦١٧ هـ



آخر لوحة من مخطوطة أحمد الثالث رقم: ١٢٥٨

فإن الجزئية والجزئية ليست إحداهما علة للأخرى بل هما نتيجتا علة واحدة وحصول إحدى
النتيجتين تدل على الأخرى بواسطة العلة فإنها تلازم علتها والنتيجة الثانية أيضاً
تلازم علتها وملازم الملازم ملازم لا محالة وجميع استدلالات الفراسة من قبيل
الاستدلال بإحدى النتيجتين على الأخرى حتى إنه لو استدل بخطوط حمر في كتف الشاة
على إراقة الدماء في تلك السنة ويستدل بالخلق على الأخلاق ولا يمكن ذلك إلا بطريق
تلازم النتائج الصادرة من سبب واحد ولنقتصر من مدارك العقول على هذا القدر
فإنه كالعلاوة على علم الأصول ومن أراد عليه مزيداً فليطلبه في كتاب معيار العلم ومحك
النظر ولنشتغل الآن بالأقطاب الأربعة التي يدور عليها علم الأصول وهو الخبر
مقدمة الكتاب ويتلوها القطب الأول في الثمرة وما يليه من الأقطاب إن شاء الله
وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على المصطفى محمد النبي وآله أجمعين وسلامه

بسم الله الرحمن الرحيم **القطب الأول في الثمرة**

وهي الحكم والكلام فيه ينقسم إلى فنون فن في حقيقة الحكم وفن في أقسامه وفن
في أركانه وفن في المظهر للحكم **الفن الأول** في حقيقته ويشتمل على تمهيد
وثلاث **مسائل** أما التمهيد فهو أن الحكم عندنا عبارة عن خطاب الشارع إذا تعلق
بأفعال المكلفين فالحرام هو المقول فيه لا تفعلوه والواجب هو المقول فيه افعلوه ولا
تتركوه والمباح هو المقول فيه إن شئتم فافعلوه وإن شئتم فاتركوه فإن لم يوجد هذا
الخطاب من الشارع فلا حكم فلهذا قلنا العقل لا يحسن ولا يقبح ولا يوجب شكر المنعم
ولا حكم للأفعال قبل ورود الشرع فلنرسم كل مسألة برأسها **مسألة** ذهبت
المعتزلة إلى أن الأفعال تنقسم إلى حسنة وقبيحة فمنها ما يدرك بضرورة العقل
كحسن إنقاذ الغرقى والهلكى وشكر المنعم ومعرفته والصدق وكقبح الكفران وإيلام
البريء والكذب الذي لا غرض فيه ومنها ما يدرك بنظر العقل كحسن الصدق

الحكم وإثباته فلننظر الآن في مثمره وهو الدليل **القطب الثاني**
في أدلة الأحكام وهي أربعة الكتاب والسنة والإجماع ودليل العقل المقرر على النفي
الأصلي فأما قول الصحابي وشرع من قبلنا فمختلف فيه **الأصل الأول**
من أصول الأدلة كتاب الله تعالى اعلم أنا إذا حققنا النظر بان أن أصل الأحكام واحد وهو
قول الله تعالى إذ قول الرسول عليه السلام ليس بحكم ولا ملزم بل هو مخبر عن الله تعالى أنه حكم
بكذا فالحكم لله وحده والإجماع يدل على السنة والسنة على حكم الله تعالى وأما العقل
فلا يدل على الأحكام الشرعية بل يدل على نفي الأحكام عند انتفاء السمع فتسمية العقل أصلاً من
أصول الأدلة تجوز على ما سيأتي تحقيقه إلا أنا إذا نظرنا إلى ظهور الحكم في حقنا فلا يظهر
إلا بقول الرسول لأنا لا نسمع الكلام من الله تعالى ولا من جبريل فالكتاب يظهر لنا بقول الرسول
عليه السلام فإذاً إن اعتبرنا المظهر للأحكام فهو قول الرسول فقط إذ الإجماع يدل على أنهم استندوا
إلى قوله وإن اعتبرنا الملزم فهو واحد وهو حكم الله تعالى لكن إذا لم نجرد النظر وجمعنا
المدارك صارت الأصول التي يجب النظر فيها أربعة كما سبق فلنبدأ بالكتاب والنظر
في حقيقته وحده المميز له عما ليس بكتاب ثم في ألفاظه ثم في أحكامه **النظر الأول**
في حقيقته ومعناه هو الكلام القائم بذات الله تعالى وهو صفة قديمة من صفاته والكلام
اسم مشترك قد يطلق على الألفاظ الدالة على ما في النفس تقول سمعت كلام فلان وفصاحته
وقد يطلق على مدلول العبارات وهي المعاني التي في النفس كما قيل:
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا: وقال الله تعالى ويقولون
في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقال وأسروا قولكم أو اجهروا به ولا سبيل إلى إنكار
كون هذا الاسم مشتركاً وقد قال قوم وضع في الأصل للعبارات وهو مجاز في مدلولها
وقيل عكسه ولا يتعلق به غرض بعد ثبوت الاشتراك وكلام النفس ينقسم إلى خبر واستخبار
وأمر ونهي وتنبيه وهي معان تخالف بجنسها العلوم والإرادات [illegible] متعلقاتها

القطب الثالث من الكتاب
في كيفية استثمار الأحكام من مثمرات الأصول ويشتمل هذا القطب على صدر ومقدمة
وثلاثة فنون: صدر القطب الثالث اعلم أن هذا القطب هو عمدة علم الأصول
لأن ميدان سعي المجتهدين في اقتباس الأحكام من أصولها واجتنائها من أغصانها إذ نفس
الأحكام ليست ترتبط باختيار المجتهدين رفعها ووضعها والأصول الأربعة من الكتاب
والسنة والإجماع والعقل لا مدخل لاختيار العباد في تأسيسها وتأصيلها وإنما مجال
اضطراب المجتهد واكتسابه استعمال الفكر في استنباط الأحكام واقتباسها من
مداركها والمدارك هي الأدلة السمعية ومرجعها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إذ منه
يسمع الكتاب أيضاً وبه يعرف الإجماع والصادر منه من مدارك الأحكام ثلاثة إما لفظ
وإما فعل وإما سكوت وتقرير ونرى أن نؤخر الكلام في الفعل والسكوت لأن الكلام
فيهما أوجز واللفظ إما أن يدل على الحكم بصيغته ومنظومه أو بفحواه ومفهومه أو بمعناه
ومعقوله وهو الاقتباس الذي يسمى قياساً فهذه ثلاثة فنون المنظوم والمفهوم والمعقول
الفن الأول في المنظوم وكيفية الاستدلال بالصيغة من حيث اللغة
والوضع ويشتمل هذا الفن على مقدمة وأربعة أقسام **القسم الأول** في المجمل
والمبين والقسم الثاني في الظاهر والمؤول والقسم الثالث في الأمر والنهي
والقسم الرابع في العام والخاص فهذه أسرار هذا القطب أما المقدمة
فتشتمل على سبعة فصول الفصل الأول في مبدأ اللغات أنه اصطلاح أو توقيف
الفصل الثاني في أن اللغة هل تثبت قياساً الفصل الثالث في اللفظ المفيد
وغير المفيد الفصل الرابع في الأسماء العرفية الفصل الخامس في الأسماء الشرعية
الفصل السادس في طرق فهم الخطاب على الجملة الفصل السابع في الحقيقة والمجاز
الفصل الأول في مبدأ اللغات وقد ذهب قوم إلى أنها اصطلاحية

مظنوناً لا مقطوعاً به وتردداً بين [illegible]
وهو أصل [illegible]
والقول بالموجب والتعدية والتركيب وما يتعلق به من تصويب كل مجتهد
فقد انطوى تحت ما ذكرناه وما لم يندرج تحته فهو نظر جدلي يتبع شريعة
الجدل التي وضعها الجدليون باصطلاحهم فإن لم يتعلق بها فائدة دينية
فينبغي أن يشح على الأوقات أن يضيعها بها وإن تعلق بها فائدة
من ضم نشر الكلام ورد كلام المناظرين إلى مجرى الخصام لئلا يذهب كل
واحد عرضاً وطولاً في كلامه منحرفاً عن مقصد نظره فهي فائدة ليست
من جنس أصول الفقه بل هي من علم الجدل فينبغي أن يفرد بالنظر
ولا يمزج بالأصول التي يقصد بها تذليل طرق الاجتهاد للمجتهدين والسلام
وهذا آخر القطب الثالث المشتمل على طرق استثمار الأحكام
إما من صيغة اللفظ وصريحه أو إشارته ومقتضاه أو معقوله ومعناه
وقد استوفيناه والله أعلم والحمد لله رب العالمين

القطب الرابع في حكم المستثمر وهو المجتهد

ويشتمل هذا القطب على ثلاثة فنون فن في الاجتهاد وفن في التقليد
وفن في ترجيح المجتهد دليلاً على دليل عند التعارض **الفن الأول**
الاجتهاد والنظر في أركانه وأحكامه أما أركانه فثلاثة المجتهد والمجتهد فيه
ونفس الاجتهاد **الركن الأول** في نفس الاجتهاد وهو عبارة
عن بذل المجهود واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال ولا يستعمل إلا فيما
فيه كلفة وجهد فيقال اجتهد في حمل حجر الرحا ولا يقال اجتهد في حمل
خردلة لكن صار اللفظ في عرف العلماء مخصوصاً ببذل المجهود في طلب العلم

صورة لصفحات الأقطاب الأربعة من مخطوطة أحمد الثالث رقم: ١٢٥٨



ومن يتوكل على الله فهو حسبه

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) القوى القادر الولى الناصر اللطيف القاهر المنتقم الغافر الباطن الظاهر الاول الآخر الذى جعل العقل أروج الكنوز والذخائر والعلم أربح المكاسب والمتاجر وأشرف المعالى والمفاخر وأكرم المحامد والمآثر وأحمد الموارد والمصادر فشرفت باثباته الاقلام والمحابر وتزينت بسماعه المحاريب والمنابر وتحلت برقومه الاوراق والدفاتر وتقدم بشرفه الاصاغر على الاكابر واستضاءت ببهائه الاسرار والضمائر وتنورت بأنواره القلوب والبصائر واستحقر فى ضيائه ضياء الشمس الباهر على الفلك الدائر واستصغر فى نوره الباطن ما ظهر من نور الاحداق والنواظر حتى تغلغل بضيائه فى أعماق المغمضات جنود الخواطر وان كلت عنها النواظر وكثفت عليها الحجب والستائر والصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الانسان بعد أن لم يكن شيأ مذكورا وهداه الى ما تهيأ به صلاح معاشه ومعاده كما كان فى الكتاب مسطورا وأغرقنا فى بحار إفضاله وجوده وأنطق الموجودات بآيات وجوب وجوده لنستدل به على توحيد ذاته وجلالة صفاته ونؤمن به كما هو بأسمائه ونشكره على ما وهبنا من نعمائه ونحمده على ما أعطانا من آلائه ونثنى عليه الخير أعظم ثنائه ونشهد أن لا اله الا الله ونشهد أن محمدا عبده ورسوله بعثه الله تعالى هاديا وبشيرا ونذيرا وداعيا للخلق الى الرحمن بدرا منيرا ذلك النبى الذى خرق السبع السموات العلى ووصل الى مكان سوى وعلم هنالك علم اللوح والقلم وجاز مقاما لم يصل اليه لواحد من الانبياء قدم ودنا الى ربه الاعلى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فرأى ما لا عين رأت ولا

على

صورة للصفحة الأولى من الطبعة الأميرية للمستصفى
وفي أسفلها كتاب «مسلم الثبوت» للشيخ محب الله بن عبد الشكور

الحمد لله الذي يسر على عبده أبي العباس (عبد العلي) محمد بن نظام الدين محمد الانصاري اختتامه وتفضيض ختامه
في شهر رمضان المبارك والمرجو من الله أن يبارك والصلاة والسلام على محمد الهمم وهادي الامم وعلى آله
الطيبين وأصحابه الطاهرين لاسيما الخلفاء الراشدين وعلى أولياء الله المقربين ● اللهم رب لقد سبقت
رحمتك غضبك فارحمني وتقبل مني هذا المرقوم قبولا حسنا وانفع به عبادك كما نفعت بمتنه واجعله
لي وسيلة يوم الحساب واعصمني برحمتك فيمن العذاب واجعله كاسمه فواتح الرحموت واجعل
بضاعتي المزجاة مسلمة الثبوت آمين

﴿يقول خادم التصحيح بدار الطباعه محمد البليسي الحسيني حسن الله طباعه﴾

أما بعد حمد الله مجري القلم وباري النسم والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم بأفصح لسان وأوضح بيان سيدنا محمد خلاصة ولد عدنان وعلى آله الاطهار وأصحابه الأبرار فان الله سبحانه وتعالى اختار لهذا الدين رجالا حفظه على أيديهم وأكثر منهم ووفر دواعيهم فأخذوا كتاب الله وسنة رسوله تلقيا من الصحابة وبلغوهما لمن بعدهم حرصا على موافقة الجماعه وحذرا من التفريط والاضاعه واصطفى من هؤلاء سادة استنبطوا أحكاما فهموا معانيها من الكتاب والسنة تارة من نص القول ومبناه وتارة من فحواه ومعناه وتارة من علة الحكم حتى نزلوا الوقائع التي لم تذكر على ما ذكر واشتهر عندهم وسهلوا طريق ذلك لمن بعدهم فعظمت بهم المنة على جميع الأمة وكان ممن سبق في هذا المضمار الامام الهمام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي عليه رحمة الولي الوالي فألف في أصول الدين وفروعه الكثير النافع وصنف منها كتابه ﴿المستصفى﴾ فلعمري لقد أتى فيه بالمراد ووفى وآخر من لحقهم وبلغ شأوهم فخر علماء الهند وكوكبها النهاري محب الله بن عبد الشكور البهاري فألف كتابه المسمى ﴿مسلم الثبوت﴾ كتاب أشرقت على صفحاته شموس تحقيقات علم الأصول وتدقيقات من المنقول والمعقول فلذا عكف على شرحه علماء أعلام واشتهر منها بين الأنام هذا الشرح المسمى ﴿فواتح الرحموت على مسلم الثبوت﴾ للامام المحقق عبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري عليهم رحمة الباري (وكان الانفاق على طبع هذين الكتابين بمعرفة حضرة الفاضل الشيخ فرج الله زكي الكردي حفظه الله المعيد المبدي بالمطبعة الأميريه ببولاق مصر المعزيه فتم بحمد الله طبعهما وكمل تصحيحهما ● في ظل الحضرة الفخيمة الخديويه وعهد الطلعة الميمونة العباسيه مد الله ظلالها وألهم العدل والاصلاح رجالها في أواسط جمادى الثانية من عام خمس وعشرين بعد ثلثمائة وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وأنصاره وحزبه ما فاح عرف بهار بليل أو نهار

آمين

صورة للصفحة الأخيرة من الطبعة الأميرية

